المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي

في هذا العدد

- النظام العالمي الجديد هل يدفع العرب نحو الوحدة؟؟
- صفحات من تاريخ الحزب
  - سنوات المخاض -
- حافظ الاسد والجماهير سوسيولوجيا القيادة التاريخية ..
- النظام العالمي الجديد بين الحقيقة والوهم ..
- النظام العالمي الجديد والغاء القرار ٣٣٧٩

العدد: ٢٥٢ كانون الثاني - شباط ١٩٩٢

المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

في هذا العدد

● **الافتتاحية** ٣

* النظام العالمي الجديد
هل يدفع العرب نحو الوحدة ؟!

الرفيق الدكتور فواز صياغ
عضو القيادة القومية الاحتياط
« رئيس هيئة التحرير »

● **صفحات من تاريخ الحزب** ٦

سنوات المخاض
١٩٤٠ - ١٩٤٧
- الحلقة السابعة -

الرفيق : جورج صدقني

● **دراسات سياسية** ٣١

* حافظ الاسد والجماهير
سوسيولوجيا القيادة التاريخية ..

الرفيق : فايز عز الدين

* النظام العالمي الجديد ٤٣
بين الحقيقة والوهم ؟!..

الرفيق : فوزي الجودة

* النظام العالمي الجديد والغاء القرار ٣٣٧٩ ٥٣
الذي ساوى الصهيونية بالعنصرية ..

الرفيق : د . غازي حسين

● **نشاطات ووثائق** ٦٣

الافتتاحية

النظام العالمي الجديد
هل يدفع العرب
نحو الوحدة !!

الرفيق الدكتور فواز صياغ
عضو القيادة القومية الاحتياط
رئيس هيئة التحرير

مع اقتراب الجولة الرابعة للمباحثات العربية الاسرائيلية ، يتضح للعالم ان النوايا الصهيونية مختلفة اختلافا كليا عما يفكر به العالم وتفكر به الولايات المتحدة الامريكية التي اطلقت مبادرتها لحل النزاع العربي الاسرائيلي على اساس مبادلة الارض بالسلام وتطبيق قرارات الأمم المتحدة بهذا الخصوص .

فقد وضح منذ البداية ان اسرائيل والدوائر الصهيونية الحاكمة كانت تهدف من قبولها المبادرة الى تمرير الوقت والالتفاف على الاجماع الدولي وتراهن في الوقت نفسه على التحولات التي تجري في ما كان يسمى دول المنظومة الاشتراكية والاتحاد السوفييتي ، تلك التحولات التي مثلت عاملا ايجابيا بالنسبة للحركة الصهيونية واسرائيل والايديولوجية الراسمالية عموما ..

وكان واضحا منذ انتهاء مؤتمر مدريد ان الدولة الصهيونية تلح على عقد المؤتمر الاقليمي وتظهر له اهتماما اكبر بكثير من المباحثات الثنائية التي من المفترض ان تناقش الانسحاب الاسرائيلي

من الاراضي العربية المحتلة وكيفية اقرار الحكم الذاتي للشعب العربي الفلسطيني وتطبيق القرارات الدولية بهذا الخصوص .
والمؤتمر الاقليمي الذي تقرر عقده في موسكو وحضرته اطراف عربية غير معنية اساسا باحتلال الارض على الرغم من قومية المعركة مع العدو الصهيوني ، كان المقصود من حضورها اكمال اللمسات الاخيرة للوحة التي رسمتها الصهيونية لصورة المنطقة بعد فرض الهيمنة الصهيونية عليها وتسديد قائمة الحساب من هذه الدول النفطية الغنية .

لقد كان موقف سورية البعث واضحا منذ البداية حول هذا المؤتمر رغم كل ما حاولت الدوائر المشبوهة الترويج له على انه المؤتمر الدولي المطلوب حول قضية الشرق الاوسط وانه المؤتمر الذي سيحرج اسرائيل ويحشرها في الزاوية وان اسرائيل لن تجد بعد هذا المؤتمر مناصا الا تطبيق قرارات الامم المتحدة والانسحاب ورغم اعلان اسرائيل نفسها قبل المؤتمر واثناءه وبعده انها لن تستجيب لذلك ولن تطبق ايا من الاوهام التي يركض وراءها العرب بما في ذلك قرارات « كامب ديفيد » التي اعلن الصهاينة انها اصبحت في حكم الماضي ولا تلزمهم بشيء حول الحكم الذاتي الفلسطيني بسبب تغير الواقع الديمغرافي البشري في الاراضي المحتلة بعد بناء المستوطنات وقدوم المهاجرين الجدد مما كان يسمى الاتحاد السوفييتي .

ذلك كله واكثر منه لم يستطع ان يوضح امام من شاركوا في اجتماع موسكو الحقيقة التي اعلنتها سورية « انكم تضعون العربة امام الحصان وتقدمون للعدو خدمة مجانية ومكافاة على عدوانه واحتلاله » ..

وكانت النتيجة كما راى العالم ان المعنيين بالارض المحتلة في فلسطين وسورية ولبنان لم يشاركوا في المؤتمر لانهم كانوا يدركون المخاطر التي تترتب على هذا الاستسلام المجاني للعدو .

واسرائيل اليوم تريد ـ كما كانت دوما ـ الارض والسلام والمال والمياه والارادة العربية ، كلها دون استثناء وتريد للمباحثات في واشنطن ان تنتقل الى الشرق الاوسط وان لا تكون مباحثات

عربية اسرائيلية بل مباحثات ثنائية وتريد ارغام العرب ليس على تجزئة قضيتهم فحسب بل وارغامهم على قبول وفود اسرائيلية في عواصمهم وتطبيع علاقاتهم معها وارغامهم على الذهاب صاغرين الى دولة الاحتلال . وتريد .. وتريد .. كل شيء .. مقابل لاشيء ..
فهل يستوعب الاشقاء العرب وخصوصا المسؤولين منهم هذه الحقائق الصهيونية ويتصرفون بوعي قومي مدرك لما يحيط بالامة العربية واجيالها المقبلة من اخطار .

فاسرائيل اليوم لا تفتقر الى الذرائع التي يمكن من خلالها شن اي عدوان عسكري على الارض العربية اللبنانية او السورية وتراها تحشد قواها وتقوم بالاعتداءات المتكررة على الاراضي اللبنانية وتقتل الاطفال والنساء والشيوخ وتشرد الالاف من جنوب لبنان ولا نجد من العالم سوى بعض مظاهر الاحتجاج الخجولة ولا نجد من الاشقاء العرب غير التمنيات بالا يتكرر ذلك ...

يجب ان يفهم العرب اولا ان النظام العالمي الجديد الذي ينشده العالم اليوم وتسعى الدوائر الامبريالية والصهيونية لجعله نظاما يخدم مصالحها فقط وكانه نظام مفصل لاخضاع الامة العربية وثرواتها وارادتها وارضها للاطماع الصهيونية ، هذا النظام ان لم يجد امامه قوة عربية موحدة الارادة متمسكة بالحقوق غير مفرطة بالثروة ومستشرفة مصالح واهداف الاجيال العربية القادمة ومستوعبة تماما للاهداف الصهيونية البعيدة المدى التي يزداد وضوحها يوميا بتصريحات قادة العدو انفسهم حول « اسرائيل الكبرى » اذا لم يدركوا ذلك فان النظام العالمي الجديد سيكون على حسابهم ولن يجدهم موقف الاستكانة والاستسلام لمآرب الصهيونية وحلفائها نفعاً ..

صفحات من تاريخ الحزب

سنوات المخاض

١٩٤٠ - ١٩٤٧

الحلقة السابعة

الرفيق : جورج صدقني

نتابع عرض مضمون كراسة « القومية العربية وموقفها من الشيوعية » من حيث وقفنا في الحلقة الماضية :

٤ - موقف (البعث) من النظرية الشيوعية : يمكن تلخيص موقف (البعث) من النظرية الشيوعية في المرحلة الواقعة بين ١٩٤٣ و ١٩٤٥ ، بما يلي :

تؤكد الكراسة ان « **العربي الواعي لا يمكن ان يكون شيوعيا الا اذا تنازل عن عروبته** »(١) ، وان خطر الشيوعية سيظل محدقا بالقومية العربية « **ما لم تعبر هذه القومية عن نفسها بنظرية متماسكة شاملة ، قابلة لان تتحقق في العمل المنظم** » ، ثم تفصل اسباب الموقف المناهض للشيوعية ، وتحدده بالنقاط التالية :

٤/أ - الشيوعية غربية وغريبة عن كل ما هو عربي : « الشيوعية هي وليدة الفكر الاوروبي » ، فأصولها اوروبية صرفة ، وهي تتصل بكل من المانيا وفرنسا وانكلترا وروسيا باسباب متباينة

ولذلك فان الاوروبي « لا يشعر نحو الشيوعية بذات الدرجة من النفور ، الذي يشعر به العربي تجاهها ، لانها لاتمت الى تاريخ العربي ... باية صلة او نسب ... **على ان للشيوعية بعض الصلة بما هو دخيل على تاريخ العرب** ... [مثل] الحركات الشعوبية التي ... كانت تدعو الى المساواة في الثروة والنساء ... والتحلل من نظام الاسرة وتعاليم الدين ، والطعن في التاريخ العربي ... [وكذلك] **بذور التفكير الافرنسي ، الذي سمم النهضة العربية منذ ولادتها ، بدخوله مصر مع حملة بونابرت** » . وهذا ما يفسر في رأي الكراسة جنوح الشيوعيين الروس في دراساتهم للتاريخ العربي الى الشعوبية ، وتضرب مثالا على ذلك دراسات بندلي جوزي(٢) « الاستاذ الشيوعي في جامعة باكو ، وهي دراسات كلها عطف وحنان على القرامطة(٣) والاقليات العنصرية من فرس وديلم وارمن وغيرهم ممن جندهم بابك الخرمي لتهديم الدولة العباسية ! » . ولاتستغرب الكراسة بعد ذلك « ان نرى الافرنسيين في سورية يعطفون على الشيوعيين ، وان نرى الشيوعيين يتمسكون بالانتداب الافرنسي ، ويقاومون - كالافرنسيين - فكرة الوحدة العربية ، بدعوى انها خطر على سورية وثقافتها (الديمقراطية) » .

٤/ب - الشيوعية رسالة تنفي الرسالة العربية الخالدة :

الشيوعية نظرية منبعثة من حضارة الغرب واوضاعه ، ولذلك فهي « **لا تلبي حاجات البيئة العربية ولا تلقى فيها تقبلا** [ولاسيما] ان الامة العربية ليست كأية امة صغيرة ثانوية ... ليست شبيهة بشعوب اوزبكستان واذربيجان والقرغز ، بل هي امة شغلت ثلث التاريخ البشري ، وابدعت احدى حضارات العالم الرئيسية الثلاث ، **وحملت الى الانسانية جمعاء رسالة إلهية لا تستطيع ان تستبدل بها رسالة (ماركس) او تلتحق بحضارة الروس او الافرنسيين** . زد على ذلك ان الشيوعية تنفي القوميات ، وهي نظام شامل غير قابل للتجزؤ ، **اي اما ان تقبل كلها او ترفض كلها** ، « فالعرب اذن مخيرون بين الشيوعية وبين رسالتهم الخالدة » . وهم يختارون قوميتهم واستقلال شخصيتهم ، وهذا « لا يعني منهم تعصبا » .

٤/ج - الشيوعية تربط العرب بالعالم ربطا حزبيا خطرا :

يرى الشيوعيون ان العرب عاجزون عن تحقيق استقلالهم

ونهضتهم القومية اذا لم يأخذوا بأسباب الحضارة الحديثة . وهذا يتم على ايدي الشيوعيين « بأن **يلقحوا العرب فكريا بالنظرية الماركسية ، وان يلحقوهم سياسيا ... بسياسة الاتحاد السوفياتي** » . أما العرب فيرون أن تتكون شخصيتهم القومية أولا، والا تحولت النظرية الماركسية الى خطر يفرض على الفكر العربي « نظرة حزبية مغرضة مصطنعة » . أما الاتصال السياسي بالدول، فان العرب يطلبون ان يكون حرا ومستلهما من مصلحتهم القومية .

٤/د ـ الشيوعية معاكسة للنهضة العربية الحديثة :

الشيوعية وليدة القوميات الاوروبية المتعصبة المتناحرة ، ولذلك فهي تريد ان « تهدم العصبية القومية في امة لم تتكون قوميتها بعد ، وتخشى من هذه العصبية على الامم الاخرى ... في وقت لا يزال العرب فيه محكومين » من قبل أمم أخرى ، وبهذا تحارب الشيوعية أمراضا غير موجودة في البلاد العربية. ويدعي الشيوعيون ان الاشتراكية الوحيدة هي الماركسية ـ والماركسية نظام شامل للسياسة والاقتصاد والاخلاق والدين وكل ناحية من نواحي الحياة فنفروا العرب بهذا الادعاء من الفكر الاشتراكي جملة، وعوقوهم عن الاهتداء « إلى **اشتراكية عربية مستمدة من روحهم وحاجات مجتمعهم ونهضتهم الحديثة** » تقتصر على كونها نظاما اقتصاديا مرنا يحقق العدل ، ويقضي على استثمار طبقة لطبقة اخرى .

٥ ـ تنتقل الكراسة بعد ذلك الى نقد « الشيوعية في التطبيق » نقدا فيه شيء من التفصيل على النحو التالي :

٥/أ ـ الشيوعية في روسيا : ترى الكراسة ان قيام ثورة ١٩١٧ نفسه « هو تكذيب للنظرية الماركسية ، التي تقرر ان الثورة الشيوعية لا تتحقق الا في المجتمع الذي بلغت فيه الصناعة أوج الرقي ، فبلغ فيه التناقض بين الرأسمالية والطبقة العاملة حده الاعظم » . وبعد ان مرت الكراسة مرورا عابرا بالاتجاهات المختلفة ، التي انقسم اليها الشيوعيون « بعد ان اصطدموا بالواقع » ، وأشارت الى الفروق بين لينين وتروتسكي ، قالت : « نستطيع ان نقول انه منذ عام ١٩٢٨ بدأت السياسة السوفييتية تتبع اتجاها مناقضا للماركسية » لان ستالين جعل الحركة الشيوعية العالمية في خدمة الاتحاد السوفييتي وبقائه

وتقويته ، وقام بحملة دعاية واسعة وجبارة لايهام الرأي العام بأنه لم يحد عن خط الشيوعية الاممية الاصلي . « غير انه ما اتت سنة ١٩٣٦ حتى انكشفت هذه الخديعة الكبرى ، واصبح معروفا ... ان روسيا ... لم تعد تنظر الى العالم أو الى العمال الا من خلال مصلحتها كأمة وكدولة » .

٥/ب ـ الاحزاب الشيوعية في العالم : تقرر الكراسة ان « الحزب الشيوعي ، الذي ينشأ في بلد ما .. هو فرع منبعث عن الاممية الثالثة الموجودة في موسكو ، والتي هي فرع للسياسة الخارجية الروسية ومنفذ لأغراضها » . ثم تميز الكراسة بين الدول الصغيرة الضعيفة والدول الكبرى القوية ، من حيث اثر الحزب الشيوعي في الارتباط بسياسة الاتحاد السوفياتي . فلو فرضنا ان الحزب الشيوعي في فرنسا « تغلب على الاحزاب الاخرى واستلم الحكم ، [فان] فرنسا تستطيع ان تكون شيوعية دون ان تفقد استقلالها وحضارتها ... دون ان يقودها ذلك الى

● نحن .. وقراء المناضل ●

اعرب احد القراء عن شكه في ما نشرناه عن انسحاب الاستاذ زكي الارسوزي من عصبة العمل القومي في العام ١٩٣٩ (العدد ٢٤٨ ، ايار ـ حزيران ١٩٩١ ، ص ٧) . ولازالة كل شك ننشر هنا نص هذا الانسحاب ، الذي يمكن ان يوصف بانه انسحاب بأثر رجعي ، وذلك كما نشر في جريدة (الايام) الدمشقية في ٢١ اذار ١٩٣٩ :

« بيان من الارسوزي »

« يظن الكثيرون من الناس انني انا واخواني شباب الاسكندرون المقيمين الآن في المدن السورية وكتلة الشعب العربي الثابتة على قوميتها في منطقتنا المنكوبة لانزال منتسبين الى عصبة العمل القومي ، متضامنين مع هيئتها المركزية . والحقيقة ، منذ زمن غير قصير ، قد قطعنا عمليا كل صلة لنا بهذا الحزب ، وكنا مستقلين عن المركز في جميع اعمالنا .

» ولذلك فانني اصرح اليوم بهذا الامر بصورة علنية ، تنويرا للرأي العام ، وايضاحا للحقيقة .

زكي الارسوزي »

الالتحاق بروسيا والذوبان فيها ... وكل ما يمكن توقعه هو توثيق التحالف والتضامن بين دولتين مستقلتين هما فرنسا وروسيا ... ولا يستبعد ان تصبح الشيوعية بالنسبة الى فرنسا ، كما هي الآن بالنسبة الى روسيا ، وسيلة للتوسع الخارجي ونشر النفوذ » ، كما استخدمت مبادىء الثورة الفرنسية في الماضي للغاية نفسها . اما سورية فهي بلاد صغيرة محكومة من الاجنبي ، والشيوعية فيها « تزيدها ضعفا وتفككا ، وتمنعها من ان يكون لها سياسة مستقلة مستوحاة من مصلحتها القومية ، بل تجعل سياستها ملحقة بسياسة دولة عظمى » . والخلاصة **« ان الشيوعية قد تكون لفرنسا وسيلة ، ولكنها بالنسبة الينا تجعلنا نحن وسيلة لها »** . ولا تنسى الكراسة ان تؤكد ان « نتائج الشيوعية كانت وخيمة على فرنسا نفسها » .

٥/ج ـ الحزب الشيوعي في سورية : تورد الكراسة نصا من (البيان الشيوعي) يقول : « الشيوعيون يأنفون من كتمان مقاصدهم ومحاولاتهم ، ويصرحون علنا بانهم لا يستطيعون بلوغ اهدافهم الا بهدم مجموع النظام الراسمالي القائم هدما كليا عنيفا » . ولكن منذ سنة ١٩٣٦ فرضت السياسة السوفياتية على الاحزاب الشيوعية « اسلوبا جديدا بعيدا عن الصراحة ... قائما على .. المسايرة والمواربة » . ولهذا اعلن الحزب الشيوعي في سورية قديما بانه وجد لنشر الماركسية وتحقيقها . « ثم اعلن في الزمن الاخير تخليه عن النظرية الماركسية ، او ارجاءه اياها الى مابعد التحرر القومي » . واتهمت الكراسة الشيوعيين في سورية بانهم خالفوا تعاليم ماركس ، لانهم اصبحوا « اليوم لايانفون من الكذب ... فهم ماركسيون ، ومع ذلك يصرحون بانهم مع التجار الراسماليين ، وهم حزب الشعب العامل الفقير ، ومع ذلك يدافعون عن الاغنياء ، ويعيشون عيشة الاغنياء » .

٥/د ـ الموقف من الحزب الشيوعي السوري : ترى الكراسة انه ليس لوجود الحزب الشيوعي السوري من مسوغ ، في جميع الاحوال والاحتمالات . وتستعرض الكراسة هذه الاحتمالات على النحو التالي :

□ اذا ادعى هذا الحزب انه وجد لتحقيق الماركسية ، فالجواب :

١) الحزب نفسه لم يعد يعلن تمسكه بها .

٢) الماركسية مرفوضة علميا ، ومن وجهة النظر العربية .

□ اذا ادعى ان مهمته الآن هي الإسهام في التحرير القومي " فالجواب ان العرب اولى بهذه المهمة من « حزب اجنبي يستمد الوحي السياسي والمساعدات من دولة اجنبية » .

□ اذا ادعى انه يهتم بتحقيق الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية ، فالجواب أن الشيوعيين في الواقع « آخر من يشعر ببؤس العامل والفلاح » .

ثم تقول الكراسة ان الشيوعيين يعترفون بان الثورة العالمية كما تخيلها ماركس وتروتسكي متعذرة ، ولذلك لابد ــ في رايهم ــ من تقوية الاتحاد السوفياتي كقاعدة لتحرير الشعوب . وهنا تتساءل الكراسة : « ماهي قيمة العرب السياسية في نظر الاتحاد السوفياتي ؟ » . ثم تفترض الكراسة عدة فرضيات مستقبلية ذات مساس بالمصلحة العربية ، وتتساءل عن موقف الاتحاد السوفياتي منها . وابرز هذه الفرضيات الفرضية التالية : لنفرض ان انكلترا واميركا ، حليفتي الاتحاد السوفياتي او احداهما « اصرت على ابقاء فلسطين وطنا قوميا لليهود ، وتوسيع نفوذ هؤلاء فيها ، ففي

● نحن .. وقراء المناضل ●

جوابا عن استفسار حول ما نشرناه عن الانتخابات النيابية في العام ١٩٤٣ (العدد ٢٥٠ ، ايلول ـ تشرين الاول ١٩٩١ ، ص ٢٥) ، نقول : ان الانتخابات النيابية كانت تجري في ذلك العهد على درجتين ، فكان المواطنون ينتخبون في مرحلة اولى عددا من الناخبين الثانويين ، على صعيد الاحياء والنواحي (مخاتير ، وجهاء محليين ..) ، وفي مرحلة ثانية ينتخب هؤلاء الناخبون الثانويون نواب الدائرة الانتخابية . اما دائرة دمشق فكان عدد الناخبين الثانويين فيها ٨٣٠ ، وعدد المقترعين منهم ٨٢٣ ، انتخبوا ١٦ نائبا ، جميعهم من قائمة شكري القوتلي ، التي فازت بكاملها . وفاز باعلى الاصوات شكري القوتلي (٦٢٨ صوتا) ، وفاز بادناها عفيف الصلح (٢٨٦ صوتا) . اما تلاميذ ميشيل عفلق فقد كانوا راضين عن الاصوات التي نالها (١٤٥) ، ولاسيما انها كانت تفوق الاصوات التي نالها خالد بكداش (١٣٠) . (انظر جريدة « الف باء » الدمشقية ، العددين ٦٥٧٦ و ٦٥٧٧ المؤرخين في ٢٧ تموز و ٢٩ تموز ١٩٤٣) .

جانب من يقف الاتحاد السوفياتي ؟ » (٤) . وتكاد الكراسة تفصح عن الجواب ، اذ تقول : « لقد برهن الاتحاد السوفياتي على انه اكثر امم الارض واقعية في السياسة » . وتضيف قائلة : « مما لاشك فيه انه يهتم بحليفتيه أكثر من اهتمامه بالعرب » . فمتى يأتي دور العرب في التحرر ضمن سياسة الاتحاد السوفياتي ؟

وفي الجواب عن هذا السؤال تقول الكراسة : يرى الشيوعيون ان « من الواجب ان تسخر حياة العرب لمصلحة الاتحاد السوفياتي مدة من الزمن غير محدودة » ، ريثما يعمم الاتحاد السوفياتي الشيوعية « على العالم اجمع ، فيفي عندئذ دينه للعرب » . وتستغرب الكراسة منطق الشيوعيين « الشاذ » في هذا المضمار ، وتلخصه بقولها ان الشيوعيين يقررون **« ان مصلحة اي شعب من الشعوب ، والعرب من بينهم ، هي دوما متفقة اتفاقاً مطلقاً مع الاتحاد السوفياتي »** . ونتيجة لذلك فانه **« في كل مرة تختلف او تبتعد فيها مصلحة العرب عن مصلحة الاتحاد السوفياتي ، يكون الحزب الشيوعي ضد العرب »** .

● نحن وقراء المناضل ●

اخذ علينا عدد من قدامى البعثيين اننا قسونا – في مانشرناه حتى الان – قسوة شديدة على ميشيل عفلق . فمنهم من راى اننا نتصيد هفواته ونضخمها، ومنهم من تمنى علينا الاعتدال في ادانته ، رغم انه يستحق ماقلناه فيه واكثر ، ومنهم من تمنى علينا ان نتصف بحياد المؤرخ ، فلا نبدي رايا ، ونقتصر على سرد الوقائع ، بل لقد نمي الينا ان احدهم يذهب الى حد اتهامنا بالتزوير لصالح زكي الارسوزي !!

اننا – مع ترحيبنا بكل نقد موضوعي – نرفض تهمة التزوير رفضا قاطعا ، ونطالب من اطلقها قطعا – اذا صح مانقل الينا عن لسانه – بان « يفضح » هذا التزوير ، ونقول له : هاتوا براهينكم ان كنتم صادقين . اما سائر الانتقادات ، فاننا نقول لاصحابها ان اصحاب الانتقادات المعاكسة (الذين يرون اننا بالغنا في ابراز ايجابيات عفلق ، واننا نسبنا اليه ايجابيات ليست فيه) عددهم كبير . مهما يكن من امر فاننا نقول لهؤلاء واولئك جميعا ان الاراء التي طرحناها – بما هي اراء – قابلة للحوار والمناقشة تماما ، ولكن العبرة في مانشرنا هي في الوقائع التي اثبتناها بالوثائق ، فهذه ستبقى صحيحة ، حتى لو حذفنا الاراء الشخصية الواردة هنا او هناك . واننا نصر على صحة ما اثبتناه من وقائع ، الا اذا برهن لنا المخالفون بالوثائق انها غير صحيحة .

وتحرص الكراسة في الختام على الاعلان بان هذا الموقف من الحزب الشيوعي السوري « لايعني العداء لدولة الاتحاد السوفياتي . فنحن نفرق بين هذه الدولة وبين الحزب الشيوعي كل التفريق ، ونعلم ان العرب لا يرون اي موجب لمعاداة دولة عظيمة كروسيا السوفيتية ، ماتزال منذ نشوء نظامها الجديد تظهر العطف على الشعوب المناضلة في سبيل حريتها واستقلالها » . وتعرب الكراسة عن الامل في توثيق الصداقة مع الدولة السوفيتية ، ولكنها تعلن ان العرب « يريدون ان تقوم هذه الصداقة بين الامة العربية والامة الروسية عن طريق المحالفات الرسمية مع الحكومات العربية لا عن طريق الحزب الشيوعي » .

٦ – والواقع ان موقف (البعث) من الشيوعية موقفا مناهضا كان موقفا عقائديا اساسيا ، موقفا من الطبقة الاولى – اذا صح التعبير – يكاد لايعلو عليه اي موقف عقائدي آخر ، اللهم الا الوقوف الى جانب مبدأ « الوحدة العربية » بلاتحفظ ، وبلا قيد ولا شرط . فكان طبيعيا ، والحال هذه ، ان يغتنم الحزب كل فرصة ، وكل مناسبة للتعبير عن موقفه ذاك من الشيوعية . ومن الامثلة ، التي تؤكد ماذهبنا اليه ، ان الخطاب ، الذي القي في احتفال الحزب بالذكرى الرابعة والعشرين لاستقلال سورية ، في ٨ آذار ١٩٤٤ ، لم يهمل التنبيه الى (خطر الشيوعية)، فهو يقول: «ان امتنا ، وهي في طورها الهلامي السديمي ، لاتنفع نفسها وتؤذي غيرها من الامم فيما اذا انكرت عبقريتها وتخلت عن رسالتها ، لتعتنق مبادىء غريبة عنها ، وتمشي ملحقة في ركاب دولة اخرى . فاذا كنا نريد للانسانية نفعا وتريد لنا نفعا ، فالنفع والانتفاع في انصبابنا اليوم بكليتنا في قوميتنا لتكوين امتنا . **ولهذا نرى اليوم في الحركة الشيوعية الخطر الاكبر على الفكرة العربية . فالشيوعية كنظرية اصبحت من عالم الماضي ، وكسياسة اداة للتوسع . ولكن غرض الحركة الشيوعية ، التي تقوم على نشرها الشعوبية ، استبقاء الامة العربية في طورها السديمي** ، فهي تنفث سمومها في نفوس الشباب العربي ، لتبعده عن التفكير القومي ، وتشل حركته في الحقل القومي ، فتؤخر سير الامة العربية في طريق الانبعاث » .

٧ – تعليق لابد منه : قد يكون من المناسب ، منعا لكل لبس ، ان نشير الى ان هذا العرض لموقف حزب البعث العربي من الشيوعية ، وان كانت مادته مادة عقائدية ، فهو عرض تاريخي

وليس عرضا عقائديا . ولذلك عرضنا هذا الموقف بالوثائق ، وكما هو ، وصرفنا النظر عن ابداء الراي في خطا الموقف او صوابه ، كما غضضنا النظر عن الغلو ، الذي قد يبدو على موقف الحزب العدائي من الشيوعية في هـذه النقطة او تلك ، واكتفينا بعرض الحقائق التاريخية عرضا نزيها ، لم تشبه شائبة من الهوى ، خاليا من ادنى اثر للعوامل الذاتية . واذا كانت الامانة التاريخية توجب على المؤرخ ان يسرد وقائع الماضي سردا دقيقا ومطابقا لها قدر الامكان ، فان الروح العلمية توجب على قارىء التاريخ ـ انصافا لهذا التاريخ وتحاشيا للحكم على الماضي حكما ظالما ـ ان يصدر حكمه على هذا الماضي بحسب ظروفه الموضوعية ، لا ان يقيس الماضي بمقاييس الحاضر ، ويحكم عليه وفقا لها . ولهذا فان على القارىء ـ قبل ان يصدر حكمه على موقف الحزب من مناهضة الشيوعية والشيوعيين سنة ١٩٤٤ ـ ان يعرف بدقة كيف كانت الشيوعية في عهد ستالين، وكيف كان الحزب الشيوعي السوري في ذلك الحين . مهما يكن من امر ، فان الحقيقة التاريخية ، التي تتجلى بوضوح في ما عرضناه من وثائق ، هي ان موقف حزب البعث العربي من الشيوعية ـ بغض النظر عن التفسير او التسويغ ـ كان موقفا معاديا عـداء عنيفا لا هوادة فيه ، ومطلقا لاقيد فيه ولا شرط .

واذا كان مما لاريب فيه ان الظروف الموضوعية ، التي كانت سائدة في النصف الاول من الاربعينات ـ وفي عداد هذه الظروف واقع الحزب الشيوعي السوري ومواقفه ـ نقول اذا كان للظروف الموضوعية نصيب وافر في تكوين موقف (البعث) المناهض للشيوعية، الى جانب عوامل متعددة ، فان مما لاريب فيه ايضا انه كان للعوامل الذاتية لدى قادة (البعث) حينذاك ، ولا سيما لدى عفلق والبيطار،

● نحن وقراء المناضل ●

> من طريف مايروى عن انتخابات ١٩٤٣ ان لفيفا من الشباب من تلاميذ عفلق كانوا يقومون بجولة على الناخبين الثانويين ، ويدعونهم الى انتخاب عفلق. وذات مرة كانوا في زيارة الناخب الثانوي عمر آغا شمدين زعيم حي الاكراد بدمشق ، فقال لهم : كم صوتا عندكم لتعطوها بالمقابل لمرشحنا ؟ فسالوا الزعيم « العشائري الاقطاعي » : ومن هو مرشحكم يا آغا ؟ فاجاب دون ان يرف له جفن : خالد بكداش !

اثر عظيم الشان في اتخاذ ذلك الموقف المناهض للشيوعية . ونحن ، اذ نشير الى هذه العوامل الذاتية ، فانما نشير الى العلاقة الوثيقة التي كانت تربط ـ او راج انها كانت تربط ـ بين عفلق والبيطار وبين الشيوعية ، الى حد ان اوساطا كثيرة قالت بانهما كانا ، في وقت من الاوقات ، شيوعيين .

٨ ـ عفلق والبيطار ، هل كانا شيوعيين ؟ لقد اشرنا في حلقة سابقة (٥) الى ان الاستاذ زكي الارسوزي كان ياخذ على عفلق والبيطار علاقتهما بالشيوعية، ونشرنا ـ في سياق هذه الاشارة ـ صورة جزئية لوثيقة من وثائق الحزب الشيوعي اللبناني ، صدرت في زحلة عام ١٩٣٤ ، ووقع عليها عفلق والبيطار الى جانب المثقفين من الشيوعيين وانصارهم . والآن نعتقد انه قـد آن الاوان لجلاء هذا الامر ، والجواب عن هذا السؤال الاساسي : هل كان عفلق والبيطار شيوعيين ؟

ومهما يكن من امر، فان اتهام عفلق والبيطار بالشيوعية كان شائعا ورائجا الى حد كبير ، لذلك لم يكن هذا الاتهام خافيا عليهما مطلقا . ولقد دافعا عن نفسيهما في مواجهة هذه التهمة في كراسة « القومية العربية وموقفها من الشيوعية » المذكورة آنفا ، وفي فقرة طويلة عنوانها « نحن والشيوعية منذ خمسة عشر عاما »(٦) . وليس امامنا خيار سوى تصديق رواية عفلق والبيطار عن طبيعة علاقتهما بالشيوعية، طالما لم يظهر اي دليل على عدم صحتها . واليكم في ما يلي نص هذه الرواية الكامل :

« في عام ١٩٢٨ كنا طلابا نعجب بالوطنيين ونعمل في صفهم ، لاننا لم نكن نفهم القضية الوطنية يومئذ الا انها نضال بين الامة والمستعمر ، وان في البلاد اشخاصا وحكومات رضخت للمستعمر وتعاونت معه ، يسمون رجعيين وخونة ، واشخاصا آخرين ناقمين على المستعمر وصنائعه ، متمسكين بحقوق البلاد مطالبين باستقلالها يسمون بالوطنيين .

» ثم انتقلنا الى ديار الغرب للدراسة ، ولم ننقطع عن الاهتمام بقضية بلادنا وعن العمل لها بقدر المستطاع . ولم نكن نلقى عطفا على قضيتنا الا من بعض النواب الاشتراكيين والشيوعيين في البرلمان الافرنسي ، فكان ذلك السبب الوحيد الذي حببهم الينا دون ان نعرف شيئا عن نظرياتهم الاجتماعية والسياسية .

» ومضى الزمن ، واطلعنا بواسطة الدراسة على امور لم تكن تخطر لنا ببال ونحن طلاب احداث في دمشق ، والتقينا بالاشتراكية عن طريق الفكر والعلم ، فاذا ـ

نحن امام تفسير جديد محكم اخاذ لجميع المعضلات السياسية والاجتماعية التي يشكو منها العالم بوجه عام ، ونشكو نحن العرب منها بوجه خاص .

» وليس صعبا على القارىء ان يتصور مبلغ حماستنا عندما كنا نقرأ لنفر من كبار كتاب الغرب ومفكريه المعروفين بنزاهة قصدهم ونبل مراميهم ، ونسمعهم ينعون على حكوماتهم جرائمها المنكرة في استعباد الشعوب الضعيفة بحجة التمدين والتنوير ، وليس ذلك الا بغية الاستعمار الاقتصادي والتوسع الحربي الذي هو صورة ووسيلة للتوسع الاقتصادي ايضا . وكنا نصغي بشغف واستبشار لاولئك المفكرين اذ يصورون المجتمع الانساني المنشود وقد زال منه الظلم والاستعباد والبؤس والفساد ، وتحررت فيه الشعوب والافراد من كل القيود والعوائق المصطنعة التي اعاقتها عن اطلاق مواهبها وبذل قواها الكامنة لتنقية الحياة وتجميلها وملئها بالخير والسعادة .

» ولا يستغرب هذا الموقف من شبان مثلنا كانوا يئنون من جرحين بليغين : جرح قومي ناتج عن تحكم الاجنبي في ارضهم وامتهم ، وجرح اجتماعي مسبب عن انحطاط مجتمعهم وامراضه في الجهل والجمود والكذب ، وخضوعه للتدجيل والاستثمار وعبودية الفكر والنفس ، خاصة اذا عرفنا مايتصف به الشباب من سذاجة واندفاع مع الاحلام ونزق واستعجال لتحقيق ما يصبو اليه .

» وقد كانت بعض الكتابات التي نشرناها في تلك السنوات ، اثناء اغترابنا وبعده بقليل ، مصورة تصويرا صادقا لحالتنا النفسية وما كان فيها من الم مرير وامل كبير ، ومن ابهام في النظر وفجاجة في الفكر . وخير وصف لها هو : اننا عندما ذهبنا الى الغرب نقلنا معنا اليه شيئا من بلادنا ، فنظرنا الى فكره وحضارته من خلال آلامنا القومية وحاجاتنا الاجتماعية ، فلم نفهم من الغرب الا ما يساعدنا على تخفيف تلك الآلام وسد تلك الحاجات ، ثم لما عدنا الى بلادنا حملنا اليها — دون انتباه — شيئا من هذا الغرب ايضا ، مما جعلنا ننظر الى مشاكل امتنا وحاجاتها من خلال مشاكله وحاجاته . وطبيعي ان تكون عملية التصحيح والتوافق بيننا وبين وسطنا قد اقتضت بضع سنوات .

» فلنقل اذن اننا عدنا الى الوطن نحمل الفكرة الاشتراكية كتعبير عن الغايتين اللتين وقفنا انفسنا على تحقيقهما : مكافحة الاستعمار الاجنبي ، ومكافحة الرجعية الداخلية بكل اشكالها ، وقد فهمنا عن طريق تلك الفكرة ان النضال ضد المستعمر لن يكون صادقا ، شاملا ، مجديا ، الا اذا كان نضالا شعبيا . اي ان الطبقة التي كانت تمثل الحركة الوطنية حتى ذلك الوقت لاتستطيع ان ترتفع فوق مصالحها

الاقتصادية وانانيتها العائلية وفهمها الاحتكاري ، مهما (٧) حاولت واخلصت النية ، وبالتالي لا تستطيع ان تصمد في طريق النضال زمنا طويلا . وفهمنا ايضا ان هذا النضال مرتبط اوثق الارتباط بحالة الامة الفكرية والاخلاقية ، وانه لابد لنجوع النضال ضد المستعمر ، من تهيئة انقلاب فكري يغير المفاهيم القديمة العقيمة ، ويهز النفوس الى الاعماق حتى يرجع اليها نضارة شعورها بالحياة ، ويخلق لها نظرة اخلاقية جديدة جدية تتجلى في السلوك الخاص والعام على السواء .

» وكنا نعرف ان في البلاد حزبا شيوعيا يقتصر على بضعة شبان من الشعب لهم نصيب من الثقافة الابتدائية ، كانوا يعلنون عن فكرتهم بسذاجة ، ويهاجمون الاستعمار ويتعرضون لاضطهاده بجرأة تستحق الاعجاب ، فنظرنا اليه من بعيد نظرة عطف وتقدير ، دون ان تجمعنا به اية رابطة ، ودون ان يخطر ببالنا انه سيكون في يوم قريب ملتقى للشعوبيين واعداء العروبة ، وركيزة من ركائز الاستعمار الذي كان هذا الحزب يدعي محاربته .

» والحق اننا لم نسغ في يوم ما العقلية الشيوعية الضيقة ، حتى اثناء اقامتنا في الغرب ، لان اطلاعنا على الاشتراكية كان عن طريق ادباء احرار الفكر شرفاء النفس ، امثال « أندريه جيد » و « رومان رولان » ، هم ارفع من ان يكونوا شيوعيين حزبيين . لذلك لم يكن عطفنا على تلك الفكرة ليمنعنا من رؤية الحق في الفكر المخالفة او المعاكسة لها .

» ولا يجهل احد من امثالنا واصدقائنا اننا كنا نسعى دوما في تدريسنا وكتاباتنا ان نلقح فكر النشء العربي بافكار الفيلسوف الالماني « نيتشه » عدو الاشتراكية الاكبر ، فكان عملنا يثير استنكار الشيوعيين واستغرابهم ، وكان استغرابهم لا يثير فينا غير الضحك والاشفاق .

» اذن فقد كنا ، بالرغم من نفورنا من الشيوعية كحزب ، وبالرغم من شعورنا بعيوبها وصنعيتها كفلسفة ، نرى فيها فائدة من جهتين : اولا لانها ضربة تصيب الاستعمار الاجنبي ، ثانيا لانها تلقح وتحرك للفكر العربي الجامد الآسن ، تهزه بتطرفها هزا عنيفا .

» كان هذا شأننا نحوا من ثلاث سنوات ، اي لغاية عام ١٩٣٦ . ثم حدث من الحوادث الخارجية والداخلية ما قادنا الى اعادة النظر في كثير من افكارنا . ففي ذلك العام نجحت الاحزاب الاشتراكية والشيوعية في فرنسا نجاحا باهرا ، وكان لنجاحها اثر في الحزب الشيوعي السوري فاصبح حزبا علنيا ونما وتوسع . وكان هذا النجاح فاضحا لحقيقة تلك الاحزاب في كل مكان وخاصة في بلادنا . اما في فرنسا فقد تبين كذب تلك الاحزاب في وعودها القديمة لبلادنا وعطفها المصطنع على قضيتنا ، اذ انها لم تقم باي عمل جدي لترجع الينا حقوقنا المغتصبة في

الحرية والاستقلال . كما ان الحزب الشيوعي السوري لم يعد سوى آلة منفذة للحزب الشيوعي الافرنسي وللحكومة الافرنسية على وجه الاجمال . اما في داخل سورية فقد ظهر الحزب الشيوعي على حقيقته ، اي انه اخذ يجتلب اليه الاقليات العنصرية والطائفية ، وكل ما هو غريب عن طبيعة الامة واهدافها القومية ، وكل الذين يعادون الحركة العربية او يشق عليهم ان ينساقوا في تيارها . وتخلى هذا الحزب عن المهمتين اللتين كان يدعي الاضطلاع بهما : فهو فمهادن الاستعمار الافرنسي، بل اصبح في الواقع عونا له ، لان وجود الحزب الشيوعي في سورية اصبح مرهونا ببقاء الاستعمار الافرنسي فيها ، ثم اخذ يضلل الافكار ويلهي الشعب عن عدوه الحقيقي بتوجيه عدائه الى اعداء بعداء او وهميين : الى الجنرال فرانكو في اسبانيا، وتشانغ كاي شيك في الصين ، والى موسوليني وهتلر واليابان ، اي الى اعداء فرنسا وروسيا السوفياتية ، كما انه تنازل في الوقت نفسه عن مهمة الاصلاح الاجتماعي ، فحالف الرجعية السياسية والاجتماعية وصار يتكلم لغتها ويقلد اساليبها .

» وقد رافق ذلك كله ازدياد اطلاعنا على حقيقة السياسة السوفيتية الداخلية والخارجية معا . فقد بين بعض المفكرين الذين لايشك في صدق نظرهم ونزاهة قصدهم بعد ان زاروا تلك البلاد (٦مكرر) ، ان روسيا لم تحتفظ بالشيوعية الاممية الا في دعايتها الخارجية ، وانها في الداخل امة تمشي حثيثة الخطى نحو نظام خاص بها ، وتتهيأ للتوسع ، شأنها شأن غيرها من الدول الكبرى . والواقع ان روسيا السوفيتية لم تكتف بان انقلبت منذ ذلك الحين دولة قومية فحسب ، بل انها اصبحت اكثر الدول حرصا على مصالحها القومية ، واستخدمت الحركة الشيوعية الاممية لتعزيز تلك المصالح في العالم بايجاد انصار لها في كل مكان بواسطة الحزب الشيوعي ، وباضعاف غيرها من الدول . وقد قادنا كل ذلك الى التساؤل : اذا كانت روسيا الدولة الكبيرة القوية تنهج تلك السياسة الواقعية المستقلة ، افلا يكون حريا بنا ، نحن العرب ، ان نقتدي بها فنستقل بسياستنا ونتحرى مصلحة امتنا قبل كل شيء ، خاصة ان هذه الامة مازال في اولى خطوات نهضتنا الحديثة؟

» قد لا يرى بعض الناس هذه الحوادث والظواهر خطرة الى الحد الذي يسمح بان يستنتج منها ما استنتجناه نحن ، وبان تبنى عليها الاحكام التي بنينا . ولكنها كانت بالنسبة الينا كافية لتحدث فينا ازمة روحية وفكرية عميقة استمرت عامين انقطعنا فيهما عن كل كتابة وكل عمل . ذلك لاننا لسنا سياسيين يلبسون لكل حالة لبوسها ويجدون لكل تقلب سفسطة تسوغه ومغالطة تستره . بل كنا دوما نسعى لنتبين في انفسنا وفي امتنا ما هو اعمق من السياسة : النفس العربية والفكر العربي(٧) . ونحن بالرغم من كل التحفظات التي ابديناها عن الفكرة الاشتراكية ،

نقول ان ميلنا اليها كان صادقا عميقا ، وانها كانت في وقت من الاوقات مناسبة ومجالا لاظهار مافينا من نزعات للخير وتفكير في الحق . والذي نعلمه اليوم هو ان شيئا من هذه النزعات لم يتبدل فينا ولكن التبدل الاساسي هو في اننا ، بنتيجة تلك الازمة ، صرنا نعرف بوضوح ان مانشدناه في البلاد الاجنبية والفكر الاجنبية انما هو موجود في ارضنا وفكرنا وتاريخنا ، وان ذلك القلق الممض الذي كان يساورنا ليس الا دليلا على ان النفس العربية لا يمكن ان تستشعر الاطمئنان والحرية ، وان تبدع وتخصب ، الا اذا استرجعت رسالتها وتنفست في جو هذه الرسالة وهوائها .

» لسنا نريد ان نجعل من حالاتنا الشخصية قوانين عامة ، ولكنا لا نرى مانعا من التساؤل : الا يكون قدر العرب في هذه المرحلة ان يهتدوا الى انفسهم وطبيعتهم ويستكشفوا طريقهم بعد قلق وحيرة وتيه ، وبعد احتكاك بما هو غريب عنهم يشعرهم اشعارا حادا بذاتيتهم ويقربهم من فهم حقيقتهم وحاجتهم ؟ ونحن حريصون على ان نذكر هنا ومنذ الان ما كان للفلسفة الالمانية من فضل علينا في توجيه فكرنا نحو ما هو اعمق من الظواهر المادية والعلاقات الاقتصادية في تفسير سير التاريخ ونمو المجتمع ، وانها كانت معدلة لاثر الفلسفة المادية فينا ، وواقية لنا من الانخداع بالنظرة المجردة التي تقوم الاشتراكية عليها ، والتي هي نفي للقومية من اساسها .

» وهنا لا نرى بدا من ان نشير الى ظاهرة خطيرة في حياة العرب الحديثة : اننا لانكاد نلمح فيها اثرا للاشخاص الذين يشعرون ويفكرون ويعملون بصدق تام دون ان يحسبوا حسابا لما قد ينالهم من نقمة الراي العام واذاه ، ولما قد يفوتهم من الربح والشهرة والنجاح السهل . اي اننا لا نكاد نلمح في ارض العرب اليوم اثرا لاشخاص عرب يتفاعلون مع حياة امتهم تفاعلا عميقا ويتجاوبون مع ادق خلجاتها واصدق نزعاتها الدفينة لديهم الشجاعة اللازمة لاستكشاف ما لم يكونوا يتوقعون ، والجراة لاعلان ما لم يعتد الناس قبوله .

» نحن نحرص اشد الحرص على ذلك الميل الصادق الذي ظهر فينا نحو الفكرة الاشتراكية في وقت مضى ، لاننا نرى فيه دليلا على نزوع الحياة العربية الحديثة الى فكرة قومية لها اتساع الفكرة الاشتراكية وانسجامها ومستواها العقلي ونجوعها العملي . ونعرف ان هذا النزوع هو الذي كان ولا يزال يدفع عددا غير قليل من شباب العرب الى تبني فكرة اجنبية عن طبيعة امتهم ضارة بمصلحتها ، لا لشيء سوى انهم لم يعودوا يكتفون بالالفاظ الجوفاء والعواطف الهوجاء والفكر البالية والاحكام المتعسفة المرتجلة ، فاذا كنا نشرح لهم اليوم تجربتنا فلكي ننبههم الى ان انجرافهم مع الحركة الشيوعية انما هو انحراف ومرض ، وانهم في الواقع يطلبون ويستعجلون ظهور الفكرة العربية الحديثة العلمية العملية المنظمة الشاملة

التي تعالج وتحل جميع مشاكل المجتمع العربي في أموره المادية والروحية على السواء ، في نظرته الى الماضي والمستقبل ، وفي علاقته بغيره من اجزاء العالم .

« ونحن اذا كنا نحذر بعض شباب العرب من اخطار هذا الانحراف الذي يلقيهم في احضان الحزب الشيوعي ، بؤرة الشعوبية ، فهذا لا يعني اننا نرضى من ذلك الطرف الاخر من الشباب الجامد الذي يفخر بانه لم يعرف الحيرة ولا الشك يوما من ايام حياته ، او اننا ننخدع باولئك الذين اكتفوا بان يعلقوا على صدورهم عنوان العروبة دون ان يكون بينهم وبينها اية صلة حية ، واباحوا لانفسهم خيانتها في كل يوم ، وان يكونوا صنائع وحلفاء لاعدائها .

« اننا نعلم ان المرحلة التي يجتازها العرب هي مرحلة قلق وحيرة والم ، وان بذور الصدق والخير في الحياة العربية الحديثة لا يمكن ان توجد الا في كل ما هو قلق حائر متالم ، وفي كل ما هو بعيد عن النفوذ التقليدي ، متمرد على العرف والاصطلاح ، معاكس للتيار السائد . ونعرف ايضا ان العنوان لم يعد مفصحا عن الباطن ، بل غدا في اكثر الاحيان قناعا يسدل على ما في الباطن من غش وزيف ، هكذا لا يتورع الشيوعيون اليوم عن ان يسموا حزبهم « حزب الوفاء العربي » !

« نريد من ذلك ان نصل الى النتيجة التالية : وهي ان الحزب الشيوعي ، علاوة على انه حزب اجنبي يستمد سياسته واهدافه من دولة اجنبية ، وينشر فكرة تتنافى مع يقظة العرب القومية في الحاضر ورسالتهم القديمة الخالدة ، انما هو بعيد كل البعد عن فكرة الانقلاب ، عاجز كل العجز عن الاضطلاع بالمهمة الانقلابية في البلاد العربية ، لانه اصبح في الواقع لا يحلم باكثر من ان يكون حزبا سياسيا انتهازيا يفوق الاحزاب والهيئات الاخرى في التضليل والتدجيل ، وفي الخنوع للواقع المنحط .

« تلك هي حقيقة الحزب الذي تحالفه الحكومة الوطنية في سورية وتسمح له بالتوسع والانتشار ، بينما هي تحارب وتخنق كل حركة قومية عربية بكل ما اوتيت من قوة . ولئن تذرعت الحكومة بان الظروف الدولية تقضي بمسايرة الاتحاد السوفييتي ، نجيب بان ايجاد العلاقات الحسنة مع الاتحاد السوفييتي شيء ، وتنشيط حزب اجنبي شيء اخر . بل قد يكون من الحكمة السياسية ايجاد علاقات دبلوماسية بين الحكومة السورية وحكومة السوفييت كما فعلت مصر منذ امد قريب . ولو سلمنا جدلا بان الحكومة مجبرة على هذا الموقف ، لما كان احراها عندئذ بان تشجع عمل القوميين العرب لكي يكون في البلاد معدل لخطر الحزب الشيوعي وافساده . ولا ننسى بهذه المناسبة ان ننوه بظاهرة غريبة ومخيفة في حياة امة حديثة ناشئة كامتنا وهي : انفلات الافراد والهيئات من

الحدود والقيود القومية وارتماؤهم ذات اليمين وذات الشمال في احضان ممثلي الدول الاجنبية كأن كلا منهم امة او حكومة . والغرب من ذلك ان يؤلف بعض الموظفين امام سمع الحكومة وبصرها جمعيات يسيرها الحزب الشيوعي تقوم بالدعاية لكل ما هو غير عربي (٨) .

« فكيف تستطيع ان تقوم في هذه البلاد امة مستقلة اذا كان افرادها لايرون من الخيانة القومية توجيه ولائهم الى الدول الاخرى ، واذا كانت الحكومة لاتعير هذه الجريمة اي اهتمام ؟

« نعرف افرادا وهيئات تضع نفسها في موضع المدافع عن عقيدة الامة وتراثها الصالح ، كانت في القديم تحارب كل فكرة نيرة وكل عمل صادق بحجة محاربة الشيوعية ، ولم تكن الشيوعية في ذلك الحين شيئا ذا شان وخطر . اما اليوم وقد اصبح خطرها اكيدا واضحا فان هذه الهيئات واولئك الافراد يتجاهلون رؤيته ويتحاشون ذكره ، متلهين بتوافه الاشياء وسفاسف الامور. ذلك ان محاربة الشيوعية كانت في الماضي ترضي المستعمر واليوم تسيئه .

« فلنختم كلمتنا بهذه الملاحظة التي قد لا تعدم من يعيها او يفهم مغزاها :

« كانت الشيوعية في سورية بين سنة ٣٢ وسنة ٣٦ ضعيفة ، منبوذة ، مضطهدة ، من كل الجهات ، وكانت حركتها مقتصرة على شابين او ثلاثة في السجون، واثنين او ثلاثة آخرين(٩) مشردين مطاردين ، ومع ذلك او من اجل ذلك ، كانت تلقى منا بعض العطف . ومنذ سنة ٣٦ الى الان اصبحت الشيوعية قوة سياسية لا يستهان بها ، يناصرها الاستعمار الافرنسي والهيئات الوطنية على السواء ، ويتباهى المثقفون وموظفو الدولة بالانتساب اليها ، كما تتملقها بعض الاوساط الرجعية ، وهي تدر على اصحابها وانصارهم المنافع والشهرة ، ومع ذلك ، او من اجل ذلك ، لا نالو جهدا في مكافحتها وتحذير النشء العربي من خطرها » (ا.هـ.).

وفي العام ١٩٦١ ادلى عفلق بحديث آخر عن علاقته بالماركسية للصحفي البريطاني باتريك سيل ، قال فيه : « ... اكتشفت والبيطار الاشتراكية في فرنسا ، وعندما عدنا ، كنا متلهفين على ايصال هذه الافكار الى الجيل الجديد » . كما قال : « لقد كنا في ذلك الوقت [اي حتى العام ١٩٣٦] ماركسيين مع بعض التحفظات» . غير انه اعلن انه لم ينضم الى صفوف الحزب الشيوعي ، اذ قال : « لقد زعموا بعد ذلك بانني حملت بطاقة ، ولكن بالتاكيد ، لو وجدت مثل هذه الوثيقة ، لاستغلوها كامل الاستغلال » (٩مكرر) .

ثالثا ــ الوحدة العربية :

نتابع في ما يلي عرض تاريخ (البعث العربي) على الصعد

العقائدي ، في مرحلة ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥ ، فننتقل الى عرض موقف (البعث) آنذاك من مبدأ « الوحدة العربية » .

لا جدال في ان حزب (البعث العربي) كان حزب الوحدة العربية منذ اللحظة الاولى . فالوحدة العربية ، كهدف ، هي التي أعطت الحزب معنى لوجوده ، والتي لولاها ما وجد ، ولا كان لوجوده معنى من الاصل . ان اسم (البعث العربي) عميق التعبير عن اهداف الحزب ومراميه وغاياته القومية ، فهو الاسم « المطابق » لهذه الاهداف . ولكن لو فرضنا جدلا انه لابد للحزب من اسم آخر ، بدلا من « البعث » ، لما كان هذا الاسم البديل الا (حزب الوحدة العربية) .

فماذا نجد في وثائق الحزب التاريخية عن (الوحدة العربية) مبدأ وهدفا ؟

١ ـ في الخطاب (١٠) الذي القي في ٨ آذار ١٩٤٤ ، في احتفال الحزب بالذكرى الرابعة والعشرين لاستقلال سورية فقرات هامة عن الوحدة . فالخطاب يفصح منذ الجملة الاولى عن اتجاه وحدوي صريح ، اذ يبدأ بالقول : « لقد كانت الوحدة العربية ، وما تزال ، حلم العرب الاسمى ، وشغلهم الشاغل منذ مطلع هذا القرن » . ويمهد الخطاب لبيان رأيه الوحدوي الصريح باستعراض تاريخي موجز لمسيرة الحركة القومية في الماضي القريب ، فيبين كيف كان « رجالات العرب يتنادون باسم العروبة من كل صقع من اصقاعها . . تنتظمهم روح واحدة وقومية واحدة ونظرة واحدة ، وقد بدت سياساتهم العربية سافرة منذ بداوا ثورتهم الكبرى » اي الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ .

والواقع انه لا يمكن فهم الاجواء التي كان حزب (البعث العربي) يعيشها في ايامه الاولى ، دون تسليط الاضواء على تمجيد الحزب للثورة العربية الكبرى في العام ١٩١٦ ، وتعلقه الى حد الافتتان بشخصية الامير فيصل بن الحسين (الملك فيصل الاول فيما بعد) . لامراء في ان هذا الامر يبدو غريبا على بعض ابناء الجيل الحاضر ، نظرا لبعد العهد بتلك المرحلة ، ولكنه حقيقة تاريخية مؤكدة ، بل ان حزب (البعث العربي) كان ، في بداياته الاولى ، يرى في نفسه استمرارا لحركة الثورة العربية ، واستئنافا لمسيرتها ، ووريثا لنهجها القومي ، ومنافحا عن هذا النهج في مواجهة الاقليميين والشعوبيين ، وفي مواجهة الكتلة الوطنية ، التي تحولت «الوطنية»

على ايديها الى نوع من « الاقليمية » و «الانعزالية» و «الانفصالية» . ولم يكن هذا كله الا شعارا شفافا عجز عن اخفاء تهالكها على كراسي الحكم . وقد عبر حزب (البعث العربي) عن تمجيده ثورة ١٩١٦ بطرق متعددة ، اهمها :

□ اتخذ الحزب لنفسه علما هو نفسه راية الثورة العربية ، وذلك منذ المظاهرات التي اطلقها في ايار سنة ١٩٤١ لنصرة ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق (١١) ، ان لم يكن قبل ذلك . وجاء المؤتمر التأسيسي في نيسان ١٩٤٧ ، فثبت ذلك في دستور الحزب بنص المادة التاسعة من المبادىء العامة .

□ كان الحزب يخص الامير فيصل بن الحسين ـ الملك فيصل فيما بعد ـ بتقدير خاص ، ويضعه في مكان ارفع من سائر رجال الثورة العربية . ومن مظاهر هذا التقدير الخاص انه كان للملك فيصل الاول تمثال نصفي صغير موضوع في صدر صالون مكتب حزب البعث العربي . وقد ظل هذا التمثال في مكانه من مكتب الحزب في السبكي حتى ٦ نيسان ١٩٥٢ ، عندما اصدر اديب الشيشكلي قرارا بحل الاحزاب ، وختم مكتب الحزب بالشمع الاحمر . ولما سقط نظام الشيشكلي عاد الحزب الى نشاطه العلني ، ولكن تمثال فيصل الاول لم يعد الى مكتبه الجديد ، الذي كان يقع مقابل المستشفى الايطالي (١٢) .

□ ان خطاب ٨ آذار ١٩٤٤ خير ما يفصح عن هذه الروابط بين البعث والثورة العربية ، فهو يقول عن الملك فيصل الاول وعهده القصير في سورية : « هذا ما كان يشعر به رجال العرب في ذلك العهد الاستقلالي ، الذي نعمنا ببركته ، وعشنا في كنفه ٢٢ شهرا في هذا البلد ، وفي ظل رجل مثالي جاء من قلب الجزيرة يحمل الروح العربية الى مدينة دمشق . فيصل ودمشق . يا له من تزاوج موفق ، ضم اسمى فكرة الى اروع صورة ، بعد انتظار القرون ، واقتران سعيد لم نره منذ عصر الامويين وصلاح الدين . دمشق ! انين العروبة الذي لا ينقطع ... وانشودة العرب التي انشدوها ... ونداء الاجداد والامجاد الى امجاد واعمال فريدة ! وفيصل ! تلبية الحنين والاشتياق ، وترجيع صوت الضمير العربي الحي الابي . كانت دمشق دعوة وفيصل استجابة ، فالتقى حلم العرب في شخص يحدده ليحققه » . ويثني الخطاب على فيصل بانه كان « مع مثاليته واقعيا » . وبعد ان يغمز من قناة غيره من الساسة « واقتصارهم

على القول والكلام » يذكر بما قاله فيصل لهؤلاء الساسة : « كفانا قولا ، كفانا خطبا ، نحن في ايام العمل ، لا في ايام القول . ان الاقوال لا تأتي بفائدة ، الامة باشد مظاهر الحماسة ، ولكنها حماسة لاتتعدى القول » . ويضيف الخطاب : « لعمري ان هذه العبارات التي مضى عليها ربع قرن لتعبر اليوم عما في نفوسنا اصدق تعبير » .

وفي هذا الخطاب تبرز فكرة اساسية لدى البعث ، الا وهي الربط بين الوحدة العربية والاستقلال ، بل التوحيد بينهما ، بمعنى ان الاستقلال الحقيقي او الاستقلال الصحيح هو الاستقلال النهائي او العربي ، لا الاستقلال القطري او الوطني ، وبكلمة اخرى فان الاستقلال الناجز الكامل هو الوحدة العربية .

يتساءل الخطاب : « هل نحن مستقلون » (١٣) ، وهل نحن سائرون في طريق الوحدة العربية ؟ » . وهذان ـ من حيث النص ـ سؤالان ، لا سؤال واحد : سؤال عن الاستقلال ، وسؤال عن الوحدة العربية . ولكن السؤالين يردان متلازمين فكأنهما سؤال واحد . وهذا التلازم ذو مغزى واضح : فهو يعني وجود ترابط بين الاستقلال والوحدة العربية في ذهن صاحب السؤال . ولكن فلنبتعد عن استباق الامور ، ولننتظر حتى نرى الجواب .

يقول الخطاب قبل الجواب عن هذا السؤال المزدوج : « ان الاستقلال الذي نريده ، كلمة لها معناها الحي ومدلولها العربي » . ثم يجيب « المتسائلين القلقين عن حقيقة هذا الاستقلال » فيقول لهم دون غمغمة ولا مواربة : « اننا غير مستقلين . اجل اننا غير مستقلين ، وانما نحن في شبه استقلال ، اقرب الى عهد الانتداب منه الى الاستقلال الناجز » .

وبعد ان يبين الخطاب ان فصل بعض الدوائر والمصالح عن المفوضية الفرنسية العليا وربطها بالوزارات الحكومية لا يعني الاستقلال ، لان المستشارين باقون ، وكذلك دوائر الاستخبارات ، ولانه « من السخف المفجع التحدث باستقلال بلد يملك الاجنبي فيه زمام الجيش » يتابع التمييز بين الاستقلال المزيف والاستقلال الصحيح ، فيقول : « ليس من شك اننا دخلنا طريق الاستقلال . . . ولكننا بعد غرباء عنه . . . ولهذا سبب : فقد اعطينا الاستقلال ولم نك الآخذين . وليس الزم منا اليوم بأن نذكر كلمة فيصل في ذكرى فيصل(١٤) : (الاستقلال يؤخذ ولا يعطى) . . . سنبقى غير مستقلين مالم نعمل . . . حتى نكسبه فنستحقه ، فالاستقلال ليس منحة ، بل هو استحقاق » .

ويحمل الخطاب حملة عنيفة على سياسة رجال الكتلة الوطنية ، الذين استمرؤوا الجلوس على كراسي الحكم في ظل هذا الاستقلال الزائف ، وتحول النضال في سبيل الاستقلال على ايديهم ، الى تعاون مع سلطات الانتداب . ان الاستقلال الذي يمنون به استقلال ناقص زائف ، اما الاستقلال الذي ناله الشعب في عهد فيصل فهو استقلال صحيح ، او هو خطوة على طريق الاستقلال الصحيح . ولكن ما سر هذا البون الشاسع بين هذا وذاك ؟

لا يمكن فهم الفرق في نظرة (البعث العربي) الى هذين الاستقلالين ، الا في ضوء هدف الوحدة العربية والعمل من أجل تحقيق هذه الوحدة . يقول الخطاب :

« ان الوحدة العربية كانت وما تزال حلم العرب الاسمى . فالامة العربية واحدة ، والعرب ليسوا بقادرين على التخلي عن هذا المثل الاعلى او انهم ينكرون ذاتهم . ونحن إذ نتطلع الى هذه الوحدة بين اقطار العرب لا نتجاهل الواقع في السياسة ، ولكن **الاستقلال الذي ننشده هو ذلك الذي يتقدم بنا في طريق هذه الوحدة** ، والسياسة التي نتبعها هي تلك التي تضع حجرا ثابتا في بناء هذه الوحدة . لذلك نحن **لا نرى في الاستقلال والوحدة العربية غير اسمين لشيء واحد** ، وهو سيطرة الامة العربية على مصيرها ، بل ان في الوحدة العربية ضمانة هذا الاستقلال » .

كلام واضح وصريح لا زيادة فيه لمستزيد من الصراحة والوضوح : الوحدة هي الاستقلال الصحيح . الوحدة هي الاستقلال التام الناجز . الوحدة هي استقلال العرب القومي . اما الاستقلال الوطني القطري « فهو استقلال ناقص » ، لا يستكمل الا باتجاهه نحو تحقيق الوحدة العربية التي هي ضمانته . اما اذا كان هذا الاستقلال الوطني او « القطري » معاديا للوحدة ، فانه لا يكون استقلالا ناقصا وحسب ، وانما يكون استقلالا كاذبا ومزيفا .

لقد عبرت هذه الكلمات القليلة عن موقف حزب البعث العربي من الوحدة العربية وعن فهمه اياها في تلك المرحلة ، اوضح تعبير ، الى درجة انها تحولت الى شبه شعار يكرره الحزب في المناسبات السياسية ، ويستهل بها بياناته ونشراته في بعض الاحايين (١٥) .

٢ ـ واذا كان حزب (البعث العربي) قد فهم الوحدة العربية على هذا النحو ، فانه كان يقف في كل مناسبة الموقف السياسي المتناسب مع هذا الفهم ، مهما كلفه الامر . ولعل خير مثال نضربه

على ذلك هو البيان الذي اصدره الحزب في ٨ آذار ١٩٤٥ ، اي في ذكرى الاستقلال الخامسة والعشرين ، ضد رئيس الجمهورية شكري القوتلي شخصيا ، وحمل عليه فيه لموقفه الاقليمي المتمثل في دخوله في محور مع الملك فاروق ملك مصر والملك عبد العزيز ملك السعودية لمعارضة مشاريع الاسرة الهاشمية في الوحدة والاتحاد ، ولا سيما مشروع (سورية الكبرى) ، والذي كان يطرحه الملك عبد الله ملك الاردن ، لتوحيد سورية الطبيعية (سورية ولبنان وفلسطين والاردن) في دولة واحدة . وقد أعلن شكري القوتلي موقفه هذا في خطاب القاه في البرلمان ، في ٢٦ شباط ١٩٤٥ ، بعد يوم من عودته من القاهرة وعقده اتفاقا سريا مع عبد العزيز وفاروق لرفض مشروع (سورية الكبرى) الذي كان مطروحا آنذاك . وفي هذا الخطاب قال **شكري القوتلي** :

« ان الشعب السوري (...) يسعى لادراك غايتين هما في الحقيقة غاية واحدة : الاستقلال التام ، (...) والتعاون بينه وبين سائر الاقطار العربية ... »

وقال ايضا :

« ولا اريد ان استعجل الامور ، ولكنني احب ان ازيل كل لبس وغموض حول مسالة لم تعد سرا مكتوما ، واحب ان اعلن امامكم ليعلم كل من يهمه الامر ان هذه الامة متمسكة بجمهوريتها ، لانها خير وسيلة لضمان الحريات الدستورية في بلادنا ، وخير اداة للسلام والوئام ، بين جميع الاقطار العربية ، التي نجزم بانها تحرص عليها وترعاها بعين رعايتها .

» اما موضوع سورية الكبرى فقد جاهرنا ونجاهر الآن برأينا باننا نرحب به ترحيبا لامحاباة فيه ، وهو ان تكون سورية الكبرى جمهورية عاصمتها مدينة دمشق ، وان لايتسرب اليها الطغيان الصهيوني ، على ان يتم ذلك باختيار ابناء البلاد ، التي تتالف منها جمهورية سورية الكبرى . واما لبنان فاننا نحترم استقلاله وكيانه وفاقا لما جاء في بروتوكول الاسكندرية » .

كما قال :

« ولن نقبل — كما اردد دوما — ان يرتفع علم فوق علم هذه البلاد سوى علم واحد ، وهو علم الوحدة العربية » (١٦) .

وكانت هذه العبارة نموذجا فريدا لاساليب تغطية النزعة الاقليميةالانفصالية عنطريق المزايدات الوحدوية ، والتفاخر بعدم قبول اي شكل وحدوي بديلا من الوحدة العربية « الكبرى » أو « الشاملة » .

لكن مايهمنا الان هو راي الحزب في ماطرحه شكري القوتلي حول الاستقلال والجمهوريه والوحده الخ ... لقد كان موقف الحزب من ذلك كله موقف المعارض الرافض على طول الخط ، وذلك كما هو مبين في ما يلي :

١/٢ — رفض الحزب فكرة الاستقلال التام والتعاون بين الاقطار العربيه بديلا من الوحده ، وقال بعبارة واضحة وصريحه : « ... ان الغايه الاولى التي كان ينشدها شعب سوريه العربي — وهي استقلاله الناجز — ليست في عرفه غير واسطة لبلوغ الغاية الحقيقية ، وهي وحده الاقطار العربية ، لا التعاون بينه وبين هذه الاقطار » .

٢/٢ — رفض الحزب جعل النظام الجمهوري والتمسك باستبقائه شرطا لتوحيد سورية الكبرى . وقال بيان الحزب ان كلام شكري القوتلي بهذا الشان يرد عليه « بانه من المستغرب جدا ان تتذرع بهذه الذريعة جمهورية كان من ابرز صفاتها امتهان هذه الحريات وطمس معالمها . كما ان عرب سورية ... مع اعتبارهم النظام الجمهوري خير مايلائم في المستقبل روح الامة العربية ويسهل بعث امكانياتها وازدهار نهضتها ، ليقبلون اليوم بارجاء تحقيق نظرتهم هذه ، ويتورعون من ان تضحى وحدة سورية الطبيعية في سبيل التعلق بشكل الحكم » .

الحزب اذن يريد النظام الجمهوري شكلا للحكم ويريد الوحدة هدفا قوميا ، وهو يمكن ان يرجىء تحقيق شكل الحكم الذي يريد في سبيل تحقيق الوحدة العربية ، ولا يضحي بالهدف القومي في سبيل التمسك بشكل الحكم (النظام الجمهوري) .

٣/٢ — اعتبر الحزب ان جعل الرئيس القوتلي بقاء النظام الجمهوري شرطا لقيام الوحدة غطاء لرفض الوحدة ، فقد قال البيان : « والواقع ان هذا الاشتراط الذي اشترطه الرئيس الاول ليس الا رفضا رسميا لتوحيد سورية » .

٤/٢ — لم تنطل على الحزب خدعة « الطغيان الصهيوني » الذي اشار اليه القوتلي ، لذلك قال: « اما الطغيان الصهيوني فبديهي انه أشد خطرا في حالة التجزئة منه في حالة الوحدة » .

٥/٢ — وضع الحزب النقاط على الحروف واعلن ان سياسة الفئة الحاكمة من بقايا الكتلة الوطنية سياسة انفصالية . وقال ان شروط الرئيس القوتلي لقيام الوحدة ليست « الا اقرارا صريحا كشف النقاب عن السياسة الانفصالية ، التي ظلت الفئة الحاكمة

تتبعها طوال خمسة عشر عاما ، في الوقت الذي كانت توهم فيه الناس انها تعمل لقضية الوحدة العربية » . وقال ايضا : « ان شعب سورية العربي يجد نفسه مرة اخرى امام الفئة الحاكمة التي تعترض سبيله ، وتشوه ارادته الحقيقية بما ... تصطنع من مصاعب وعوائق تجعل الوحدة العربية امرا بعيد التحقيق ، وتعزز انفصال كل قطر عربي عن الآخر » .

٦/٢ ـ جعل الحزب من حملته على السياسة الانفصالية التي انتهجها القوتلي مناسبة لاعادة التاكيد على ان الوحدة العربية هي الهدف الاسمى ، وذلك عندما قال ان تاريخ سورية « في الثلاثين عاما الاخيرة لم يكن غير سلسلة من البراهين على انها تجعل الوحدة العربية فوق كل غاية ، وانها لاتحيا ولا تعمل الا في سبيل تحقيقها » .

٧/٢ ـ لم يكتف الحزب بقبول توحيد سورية الطبيعية ، وانما زاد على ذلك انه لابد من توحيد اجزاء سورية الموحدة مع العراق ، ورأى في هذه الخطوات كلها التمهيد ـ إن لم نقل الشرط ـ الذي لابد ان يسبق الوحدة الحقيقية ، وذلك عندما قال : « ليس من وحدة حقيقية لايسبقها توحيد اجزاء سورية واتحادها مع العراق » . لكن موقف الحزب من (سورية الكبرى) تحول من التأييد الى المعارضة ، منذ المؤتمر التأسيسي عام ١٩٤٧ . ولعل هذا ما جعل ناشر (نضال البعث) يحذف كل مايتعلق بتأييد (سورية الكبرى) من بيان ٨ آذار ١٩٤٥ ،في الطبعة الاولى الصادرة عام ١٩٦٣ . (١٧) .

● تصحيح واستدراك ●

ورد خطا في العدد ٢٤٤ (ايلول ـ تشرين الاول ١٩٩٠ ، ص ١٨) ، عندما اوردنا اسم الاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهواني في عداد المصريين الاوائل ، الذين كانوا على صلة ببدايات نشاط (البعث) في مصر ، في اوائل الاربعينات : فقد وصفناه بانه استاذ الفلسفة في جامعة فؤاد الاول ، والصحيح انه كان استاذ اللغة العربية . اما الاستاذ الذي كان يدرس الفلسفة في تلك الجامعة آنئذ فهو الدكتور احمد فؤاد الاهواني ، الذي لم تكن له اية علاقة بنشاط (البعث) . ونحن مدينون بهذا التصحيح للدكتور بديع الكسم ، فله الشكر الجزيل .

ـ الهوامش ـ

١ ـ العبارات المطبوعة بحرف اسود بارز كانت كلها في النص الاصلي موضوعا تحتها خط لابرازها .

٢ ـ بندلي صليبا جوزي ، ولد في ٢ تموز ١٨٧١ في القدس من عائلة عربية ، وتوفي في ١٩ كانون الثاني عام ١٩٤٤ في مدينة باكو عاصمة اذربيجان السوفياتية . سافر الى روسيا في عام ١٨٩١ لاكمال دراسة العلوم اللاهوتية ، وبعد ثلاث سنوات انصرف عنها الى الدراسات الاسلامية . عين في الفترة بين ١٩١١ و ١٩١٧ استاذا مساعدا للشريعة الاسلامية في كلية الحقوق في قازان ، وفي العام ١٩٢٠ تولى كرسي اللغة العربية وآدابها في جامعة باكو . عاد الى فلسطين في عام ١٩٢٤ ، وفي العام ١٩٢٨ اصدر في القدس اشهر مؤلفاته ، وهو كتاب (من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام) ، الذي اهداه الى « ... الذين حرروا عقولهم من تاثير الخرافات الاجتماعية والدينية والقومية » . وفي العام ١٩٢٩ طردته سلطات الانتداب البريطاني من فلسطين ، فعاد الى اذربيجان ، حيث راس القسم العربي في اكاديمية العلوم في باكو . ومن الجدير بالذكر ان مكتب الدعاية والنشر والاعلام في القيادة القومية قام في شباط ١٩٧٢ بطباعة عدد محدود من هذا الكتاب بالآلة الكاتبة وعلى آلة السحب ، ووزعها على اعضاء قيادة الحزب وعلى بعض الاطر القيادية . وقد جاء في المقدمة القصيرة التي كتبها الدكتور فواز صياغ مايلي : « ... ولقد وقعت بين يدي نسخة اصلية ... من الكتاب ونظرا لاهميتها ، في تقديري ، ولطلب كثير من الرفاق والاصدقاء لها ، فقد قمت باعادة طباعتها على هذا الشكل » . كما يورد شاهدا على اهمية الكتاب ماسجله الناشر على الغلاف الاخير من طبعة (دار الروائع) : « ... وللمرة الاولى نقرا باللغة العربية دراسة تاريخية لاصول الفكر العربي وتطوره خلال عصور طويلة » . ولعل هذا كله يوضح البون الشاسع بين الراي السائد في الحزب على هذا الصعيد في العام ١٩٤٤ والراي السائد فيه على الصعيد نفسه في العام ١٩٧٢ .

٣ ـ في النصف الثاني من الستينات تحولت نظرة الحزب الى ثورة القرامطة تحولا جذريا ، اذ صارت تعد دليلا ساطعا على ان الفكر الاشتراكي ضارب بجذوره في اعماق التاريخ العربي .

٤ ـ من الجدير بالذكر ان هذا الكلام يعود تاريخه الى حزيران ١٩٤٤ ، اي الى ماقبل وقوف الاتحاد السوفياتي الى جانب قرار تقسيم فلسطين وقيام الكيان الصهيوني بثلاث سنوات ونصف تقريبا .

٥ ـ مجلة « المناضل » ، العدد ٢٤٨ ، ايار ـ حزيران ١٩٩١ ، ص ١٥ .

٦ ـ نشرنا في العدد الماضي صورة غلاف هذه الكراسة .

٧ ـ الخطوط تحت هذه الاسطر موجودة في النص الاصلي .

٧ مكرر ـ تنصرف هذه الاشارة الى اندريه جيد ، الذي قام بزيارة الى

الاتحاد السوفياتي ، والف بعد عودته كتابا عبر فيه عن خيبة امله من مشاهداته هنـالك .

٨ ـ ربما كانت الاشارة هنا تنصرف الى بعض الجمعيات الرديفة ، التي اسسها الشيوعيون وانصارهم ، مثل : جمعية « مكافحة الفاشية » ، وجمعيـة « اصدقاء الاتحاد السوفياتي » .

٩ ـ وردت في النص الاصلي (اخرى)، فقدرنا انها خطأ مطبعي ، وصححناها الى (آخرين) .

٦ مكرر ـ باتريك سيل ، الصراع على سورية ، دار طلاس ، ص١٩٩ـ٢٠٠ .

١٠ ـ نشرنا صورة غلاف هذا الخطاب في العدد الماضي .

١١ ـ مجلة (المناضل) ، العدد ١٠٢ ، نيسان ١٩٧٩ ، ص ١٠ .

١٢ ـ من الجدير بالذكر ان الدار ، التي كان يشغلها هذا المكتب الجديد ، كانت قبل ذلك بيت الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، زعيم « الهيئة الشعبية » ، وخصم الكتلة الوطنية اللدود ، الذي اغتيل في اوائل شهر تموز ١٩٤٠ .

١٣ ـ كان الجنرال كاترو قد اصدر تصريحا ، بعيد دخول قوات فرنسا الحرة الى سورية ولبنان عام ١٩٤١ ، اعلن فيه « منح » الاستقلال لسورية ولبنان ، واعتبارهما دولتين مستقلتين .

١٤ ـ نذكر بان هذا الخطاب القي في مهرجان الحزب احتفالا بذكرى استقلال سورية ، الذي اعلن في ٨ اذار ١٩٢٠ ،عندما نودي بالامير فيصل ملكا على سورية.

١٥ ـ من الامثلة على ذلك ان الحزب وضع هذه العبارات شاهدا ـ الى جانب شواهد اخرى ـ في مستهل بيانه الذي اصدره بتاريخ ٩ حزيران ١٩٤٥ ضد الفرنسيين (انظر (نضال البعث) ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ٦٧ . وقد نشرنا صورة الصفحة الاولى من هذا البيان في العدد الماضي) . كذلك ادخل الحزب هذه العبارات في صلب النشرة التي اصدرها عن ميثاق الجامعة العربية بتاريخ ١٢ نيسان ١٩٤٥ (انظر نصها الكامل ، م . ن . ، ص ٥٧) .

١٦ ـ من الجدير بالذكر ان هذه العبارة قيلت في وقت كانت سورية لاتزال فيه رازحة تحت احتلال جيوش الحلفاء ، وكانت الاعلام الفرنسية والانكليزية ماتزال مرفوعة في اماكن كثيرة من انحاء سورية . انظر نص الخطاب الكامل في العدد ٦٩٧١ من جريدة « الف باء » الدمشقية ، المؤرخ في ٢٧ شباط ١٩٤٥ .

١٧ ـ انظر نص بيان ٨ اذار ١٩٤٥ الكامل ، م . ن . ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ٣٩ ـ ٤٢ ، ونصه الناقص ، بعد ان حذف منه كل مايتعلق بمشروع سورية الكبرى ، م . ن . ، ج ١ ، ط ١ ، ص ٥١ ـ ٥٥ .

حافظ الأسد والجماهير سوسيولوجيا القيادة التاريخية..

الرفيق: فايز عز الدين

● قال الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي الرفيق المناضل حافظ الاسد :

« جماهير الشعب هي قاعدة الحكم واساسه . وللمنظمات الشعبية ـ التي نعتز بها ـ دورها الكامل في مسيرة الثورة ، وفي معركة التحرير والبناء ، وفي ممارسة الرقابة الشعبية ، وفي المساهمة بفعالية في تنفيذ الاجراءات والتدابير الرامية الى تجاوز الصعوبات الآنية والمستقبلية . وتحسين ظروف المعيشة والعمل .

والديمقراطية الشعبية لم تعد شعارا ، بل اصبحت ممارسة حقيقية اغنتها التجربة وما زلنا نتطلع الى توسيع وتعميق تجربة الديمقراطية الشعبية لاشراك اوسع الجماهير في تحمل مسؤولية اتخاذ القرار وتنفيذه » .

اولا : الرفيق المناضل حافظ الاسد نموذج للقائد الجماهيري :

لما كان القائد الجماهيري يمثل ظاهرة وعي تاريخي في الامة تتجاوز ظاهره الاحداث لتغوص ببعد معرفي واستراتيجي الى أعماقها، وما ورائها . فلا تشغله الآنية عن رؤية ما سيلحق ، بل هو الاذكى في اكتشاف حلقات التتابع للاحداث، كيف تبدا ؟ واين تتجه ؟ وما هو المآل ؟ وماعلاقة كل ذلك بالمصير الوطني او القومي للامة؟. وفي لزومة الفكري والتطبيقي في **دراستنا السيوسيولوجية** هذه ، نرى أن الرفيق المناضل حافظ الاسد ، منذ كان شابا يناضل في صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي ، حتى اصبح على قمة الحزب والدولة .

تمثل سيرة حياته انموذجا حيا ، وصادقا ، **واميناً للقائد الجماهيري ، المثقف** السياسي العضوي ...(١) ومن الجدير بالذكر انه قد تسلسل في الحياة الحزبية النضالية ، وفي الحياة السياسية والعسكرية من المؤسسات الاولى الى قمة الهيكلية المعنية .

فهو بهذا التسلسل قد تشكل في صورة **المناضل البعثي ، القومي الاشتراكي** ، المدافع عن مصالح الشعب والمتطلع — بأمل مستمر — نحو الوحدة القومية للامة العربية ، والتحرر السياسي والاجتماعي ، وبناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد .

وسنحاول — **من منظور تطبيقي استقرائي** — ان نتتبع المرحلة الزمانية من الحركة التصحيحية المجيدة في ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠ ، الى اللحظة الراهنة ، لنرى كيف كان الحدث التاريخي يمر عليه ، او كيف كان هو يمر به . ومن ثم ماذا كانت عليه اتجاهات تفسيره لهذه الاحداث ؟ وكيف آلت نتائج الاحداث لتؤكد علمية التفسير وواقعيته . وكيف ان القادة الآخرين قد كبرت عليهم هذه الاحداث لدرجة ضياع الرؤية والخروج من خندق العروبة .

وسنسوق هذه الحوادث بدءا من **الحركة التصحيحية** كفعل تاريخي داخلي في الحزب وكقوة تفعيل سياسي للحركة الشعبية بمضمونها الوطني والقومي التقدمي على صعيد القطر وكمنعطف هام في السياسة العربية والدولية .

بداية ، وان كنا سنتابع الحدث التاريخي الذي واجهه الرفيق **المناضل حافظ الاسد** منذ ما بعد الحركة التصحيحية ، فاننا نحب ان نعيد لاذهاننا بعضا من دوره الكبير (في قيام ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ ، ومن دوره في حسم الموقف لمصلحة مقررات المؤتمر القومي السادس ضد قيادة اليمين التي رفضتها . او من دوره المؤثر في نجاح حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، وانهاء اليمين المشبوه ، وكذلك في القضاء على مؤامرة ٨ ايلول ١٩٦٦ ومن دوره في المؤتمر القطري الرابع ، والمؤتمر القومي العاشر عام ١٩٦٨ ، ضد القيادة المناورة المتسلطة وممارساتها الخاطئة ، الى دوره التاريخي في قيام الحركة التصحيحية المجيدة وحسم الموقف لمصلحة الحزب ، والدولة ، والمجتمع في ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠) ... (٢) .

هذه المواقف التاريخية للرفيق الامين العام للحزب ، قبل الحركة التصحيحية تقدم دليلها على انه لم يأت الى قمة الحزب الا من خط

نضالي تاريخي طويل ، ومن ممارسة تجوهرت فيها **روح المناضل ، رجل المبادىء** ، والذي يمتلك ارادة الكفاح بكل منطق للتضحية من اجل الحزب ، والوطن .

ولذلك كانت **الحركة التصحيحية** على صعيد الحزب من اجل فك عزلة الحزب عن جماهيره والعكس . ومن اجل عدم الاستمرار في فرض الوصاية على المواطنين . وتسخير السلطة لاذلالهم وهدر كراماتهم . ومن اجل مقاومة البيروقراطية في اجهزة الحزب والسلطة ، ومن اجل انهاء الاغفال المتعمد لدور المنظمات الشعبية في التحرير والبناء . ومن اجل انهاء مظاهر الانغلاق عن الوطن العربي ، وقواه القومية التقدمية . ومن اجل عدم الاستمرار في تفتيت القوى الوطنية التقدمية داخل القطر . ومن اجل سياسة حكيمة على الصعيد الدولي تحشد جبهة الاصدقاء مع القضايا العادلة للعرب .

من هذه الاسباب انبثقت **المشروعية السياسية التاريخية للحركة التصحيحية** ، ولذا فقد كانت استجابة القيادة الحكيمة للحركة ، منسجمة مع الروح العامة للامل الجماهيري في تصميم الموقف الوطني والقومي ضد العدوان الصهيوني في / ٥ / حزيران ١٩٦٧ الذي شكل بعداً نفسيا مقلقا لدى الامة العربية وقواها المناضلة .

✻ وبناء على ذلك فقد تضمنت التوجهات الاساسية للنظام السياسي الجديد ، ما يحقق تجربة الحزب القائد للدولة والمجتمع ، لاسيما بعد ظهور قائد المسيرة التاريخية الرفيق المناضل حافظ الاسد . الذي عمل منذ صدور بيان **القيادة القطرية المؤقتة** على انجاز مايلي :

اولا : تطبيق **مبدأ الديمقراطية المركزية** على صعيد العلاقات الداخلية في الحزب ، هذا المبدأ الذي كان مفقودا .

ثانيا : تطبيق **مبدأ الديمقراطية الشعبية** على صعيد تنظيم الجماهير بمنظمات خاصة بها للمساهمة في عملية التحرير والبناء .

ثالثا : تطبيق **مبدأ ديمقراطية النظام السياسي** — بالاساس التعددي — واقامة الجبهة الوطنية التقدمية .

رابعا : بناء الاقتصاد الوطني تحت شعار **التعددية الاقتصادية** (العام ، والخاص ، والمشترك) .

✻ كانت تلك الاجراءات تمثل العمل التاريخي الهام للقائد الجماهيري الرفيق المناضل حافظ الاسد حيث بدأ من القضية

الديمقراطية — **كاهم لبنة اساس في بناء الدولة العصرية القوية** — من منطلق ان حرية الفرد ترتبط بحرية المجتمع . وهذا التوجه يستمر — الى اليوم — افضل خط عريض لعملنا المستقبلي ... (٣) .

ومنذ الحركة التصحيحية ، وظهور القائد ، شهدت سورية **الوحدة التنظيمية للحزب** والدولة والمجتمع بأفضل صورها ، وتجسدت — عبر هذه الوحدة — **توازنية البناء الداخلي على جبهتين :**

— جبهة العمل والتعبئة الوطنية من اجل خوض معركة تحرير الاراضي المحتلة بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ .

— جبهة البناء الوطني الديمقراطي بالهدف القومي التوحيدي ، لكي تكون سورية قلعة العروبة .

توازنية البناء والعمل القومي على جبهتين :

— جبهة العمل العربي المشترك — على اساس الانضمام لميثاق طرابلس ودخول اتحاد الجمهوريات العربية — وتطوير هذا العمل الى حيث الوصول للوحدة العربية الشاملة .

— وجبهة التضامن العربي الذي يمثل مناخا يزيل التوترات القائمة في العلاقات العربية ويحشد الطاقات القومية في المعركة المصيرية المركزية للعرب في فلسطين والاراضي العربية المحتلة .

توازنية العمل في السياسة الدولية على جبهتين :

— جبهة الاصدقاء الحلفاء الذين كانوا يتمثلون في معسكر الحرية وعلى رأسه الاتحاد السوفياتي .

— جبهة الخصوم الذين كانوا يناصرون العدوان الصهيوني على الاراضي العربية والمنطق التوسعي للكيان الصهيوني اسرائيل . بحيث يتم التخفيف من حدة المناصرة ما امكن ، او انهاؤها ان امكن .

* فالتوازنية هذه التي شرع يحققها القائد الجماهيري الرفيق المناضل حافظ الاسد لا تزال تنطلق من شعار **الواقعية المبدئية في السياسة ، او من العقلانية المبدئية بتعبير ثان .**

هذه الواقعية المبدئية نجحت الى حد كبير ، في تفويت الفرصة على الاعداء في كل عمل عدواني قد خططوا له ونفذوه. ولو استذكرنا مسلسل الاحداث الخطيرة منذ الحركة التصحيحية — ولا سيما بعد حرب تشرين التحريرية في ٦—١٠—١٩٧٣ الى اليوم — لرأينا

كم كانت صعبة ملامح تلك المرحلة التاريخية الزاخرة باحداثها المصيرية على الوجود القومي للعرب ، وكيف استطاعت حكمة القائد التاريخي ، ان تتخطاها بما يحافظ على الوطن بوحدة ارضه وشعبه ومبادئه .

وما اصبحت معطيات الزمان قادرة على الحكم عليه ، **هو ان** التأويل لاي حدث جرى في حلقة المواجهة **مع دولة العدوان اسرائيل،** او في حلقة العلاقة **العربية العربية** ، او في حلقة **العلاقة العربية الدولية** ، كان يؤكد مصداقية الموقف السوري منه . ويعود العرب فيما بعد ليحصدوا النتائج التي حذرت منها سورية ، وعملت — مابوسعها — لكيلا يقع العرب فيما يريده منهم الاعداء او الخصوم.

هذه الحكمة في استشفاف ما وراء الوقائع الظاهرة ، والتمكن من فهم الحدث التاريخي في بعدي : السيرورة ، والصيرورة ، كانت تميز القيادة الفذة لقائد مسيرة شعبنا ولما تزل .

ولوجود الحكمة بأعلى معانيها ، والدراية بمنطقها الشمولي ، فاننا سنستعرض بعضا من السمات الشخصية **للقائد الجماهيري حافظ الاسد** ، بهدف تفهم سوسيولوجيا القيادة التاريخية الجماهيرية لديه ، من منظور ان القيادة التاريخية — كتجربة خاصة — تصبح فيما بعد ميراثا انسانيا ، يفيد منه البشر ويتوارثون هذه التجربة المعممة جيلا بعد جيل .

ثانيا : السمات الشخصية للقائد الجماهيري الرفيق المناضل حافظ الاسد :

اولا — التكوين القومي ، والروح الوحدوية المناضلة :

كان الرفيق المناضل حافظ الاسد في **السابعة عشرة من عمره** حينما انتسب الى اول فرع لحزب البعث في مدينة اللاذقية ، واقسم اليمين الجماعي مع رفاقه البعثيين آنذاك .

وبنظرية البعث القومية المستندة الى الشعار :

امة عربية واحدة   ذات رسالة خالدة

والى الاهداف :

وحدة حرية اشتراكية

قد ثقف نفسه ، واختط طريق نضاله الطلابي السياسي ،

ومنذ تلك المرحلة التاريخية حتى اليوم ، والمنهج القومي في التفكير ، والممارسة هو الطابع الحاسم الذي يميز الحياة النضالية له .

وهاهو ـ من بين القادة العرب ـ **القائد الاكثر استعدادا للتضحية ـ** بكل شيء ـ من اجل الوحدة العربية ، او من اجل اي علاقة وحدوية ممكنة: فهو المؤمن بصورة قطعية ان امة عربية مجزاة لن تستطيع تحرير ارضها وانسانها وبناء حضارتها . وان الامة العربية الموحدة هي القادرة بقوة على الوصول الى كل مجد تطمح اليه .

هذا هو طابع تكوينه ، وحياته ونضاله القومي شاهدان ساطعا الحجة .

ثانيا ـ الوثوق الذاتي ، وارادة تحويل المستحيل الى ممكن :

هذه الصفة القيادية لعلها تكون من اخص الصفات لديه ، فهو عندما يواجه حدثا صعبا ، عناصره الدولية اكبر من حجم الطاقة الوطنية الحاضرة ، او مما يمكن تجميعه من الطاقة القومية ، تجده لا يتزعزع ،ولايتراجع محققا للخصم او للعدو ارادة ما .

بل تجده يواجه واثقا بان امكانيات ما ، يمكن ان تنبعث من قلب هذه الصعوبة المواجهة . وان هنالك قوى سوف تدخل الساحة ، والمسألة مسألة زمن فقط ، ريثما يتم تحضيرها . وبالفعل تبدأ لديه عملية تحديد الاهداف الجديدة ، واختيار الوسائل والطرق الممكنة للوصول اليها . وبطبع المقاتل الصامد في الخندق ، يصبر ويصابر ، حتى يتحقق له ما يريد ، ويستعيد من جديد زمام المبادرة ويعيد المعادلة المختلة الى توازن يتفق مع مصالح الشعب والوطن .

انه يمتلك ارادة تحويل المستحيل الى ممكن بمشروطية الجهد المناسب . والامثلة على هذه الصفة كثيرة لعل منها المرحلة الممتدة من ما بعد **حرب تشرين التحريرية** ١٩٧٣ الى ١٩٨٣ ، حيث واجه الحوادث التي استهدفت امتصاص نتائج حرب التحرير وخرج ظافرا على كافة المؤامرات التي استهدفت **سورية ، ولبنان ، ومصر ، وفلسطين ، والخليج العربي ، والعراق ، والاردن .**

ثالثا ـ المنطق الاستشفافي التنبؤي :

ان الاحاطة الكلية لديه بتاريخ الامة العربية ، وبتقلبات احوالها

عبر عصور الزمان تجعله مالكا بذهنية شفافة لقوانين الميل التاريخي . ودروس التاريخ لديه ، هي عناصر علم المستقبل .

فمن عبرة الماضي ، **يصمم البناء الحاضري** ، ويضع التصورات لما يجب ان يكون عليه حال الوطن .

وكم قد نبه العرب الى ان زمام مصير الامة ، يجب ان يكون بايدي القائمين على تدبير امورها ، وان العدو عدو ولو بدا بزي الخصم او الصديق . وكم قد قال للعرب :

« التاريخ يدلنا ان في اعماقه الماضية امما ازدهرت ، ومنها من بنى ممالك وامبراطوريات واسعة ، ثم زالت ، واندثرت عندما غفلت واستغفلت » .. (٤) .

واذا اخذنا من الامثلة سنجدها كثيرة ، من معرفته المسبقة في ان الامبريالية والصهيونية والرجعية لن يسمحوا للعرب باستثمار نتائج حرب تشرين التحريرية ، الى التنبؤ بان العراق بعد ان تقف حربه المجنونة ضدالثورة الايرانية ، سوف يستدير باتجاه الخليج ... (٥) .

رابعا ـ التواضع والروح الشعبية :

من المعروف في علم اجتماع القيادة ، ان التواضع بالنسبة للقائد ، ليس مسألة اخلاقية وحسب ، بل يمثل ـ كذلك ـ مسألة معرفية وايديولوجية ، تضاف للموقف الاخلاقي .

حيث يمكنه هذا التواضع من ان يعايش ما يحدث في الواقع ، ويلمس ذلك بحواسه ويتفاعل معه بما يعمق لديه الروح الشعبية ، والحرص على الصورة الكريمة للوطن والمواطن .

واذ ذاك سوف تصدر قراراته من موقع من يمثلهم ، ومن ارادتهم في تحقيق مايحلمون به ويناضلون من اجله .

وهذا هو يقول : **« ليحرص كل منا على كرامة الجميع ، فلا كرامة لاحد منا ، اذا لم تكن الكرامة للوطن بجميع ابنائه » .. (٦) .**

خامسا ـ الجرأة في الدفاع عن المبادىء والتمسك بحقوق الشعب :

ان الروح المبدئية تمثل سمة حاسمة في شخصية الرفيق المناضل حافظ الاسد فهو استراتيجي كبير . بمقدار ما هو تكتيكي

بارع . لذلك نجد انه لا يساوم في حق من حقوق الشعب ، ولا يتساهل في تجاوز مبدا من الثوابت . يجري هذا لديه بتوافق ذكي بين الصلابة ، والمرونة . كل يمارس بزمانه ومكانه .

فالجراة لديه واثقة بالحق الساطع ، والقوة لـديه مستندة للشعب الواسع ، والمنطق قاعدة اخلاقية تقول : « **شعب وحق يعني النصر ..** » .. (٧) .

ولما نزل ــ نحن ــ نسمعه يكرر على مسامعنا :

« **اننا ان لم نستطع تحقيق النصر ، فلن نورث اجيالنا القادمة صكوك استسلام** » .

ويقول :

« **اننا في سورية حملة مبادىء ، وسورية هي المؤمنة بقضايا الامة العربية لا تزعزعها الرياح ولا طعنات الغادرين** » .. (٨) .

سادسا ــ تفاؤل المناضل العالم ، وقوة القناعة بالمستقبل :

الم نسمعه في بداية الثمانينات يقول لنا :

« **السماء العربية تبدو حالكة ، ولكنها في العمق ليست كذلك ، انها فترة المخاض وغدا سيولد الفجر العربي الجديد ، الذي تبدو وتطلع علينا تباشيره** » .. (٩) .

وتطبيقا لهذه الرؤية المستقبلية ، فمن كان يعتقد ــ في السلطة العربية ــ ان الاجتياح الاسرائيلي للقطر اللبناني الشقيق سوف ينهزم ، وسوف يسقط اتفاق **١٧ ايار الاذعاني** . وستبدأ الظاهرة الاستشهادية كانبل ظاهرة بطولية في تاريخ العرب .

جرى كل ذلك وخرج لبنان موحدا ارضا وشعبا . وجرى ما جرى من مؤامرات على سورية ، وخرجت سورية بنصر اضيف الى رصيدها الكبير .

سابعا ــ المركزي والمصيري اولا ، استراتيجية ثابتة :

ان من طبعه القيادي ان يرسم لوحة الواقع ، ويحدد فيها الاهداف المركزية للنضال القومي ، والقضايا الهامشية او المؤجلة ازاء ما هو مصيري وحاسم في حياة الامة .

ولذلك لم تشغله قضايا الحدود عن التركيز على قضايا الوجود ولم يشغله في التعبئة الشاملة من اجل معركة التحرير ضد العدو الصهيوني الغاصب ، اي خلاف جانبي عربي . وكان اهتمامه ،

ولا يزال ، منصبا على توفير كل جهد عربي ، لكي يصب في القضية المركزية للعرب . وسعى ــ **بكل جهوده** ــ من اجل عدم استهلاك القدرة العربية في غير محلها الصحيح في اطار المواجهة مع اسرائيل وحلفائها على الصعيد الدولي .

الم يرد الاعداء ان يوجه لسورية ضربة عسكرية ــ عن طريق المسالة اللبنانية وفشلوا ؟.. والم يرد الاعداء ان تعطى الحجة لهم ــ **في غزو صدام العميل لدولة الكويت** ــ من اجل ضرب سورية كذلك وفشلوا ؟..والم يرد الاعداء الايقاع الدائم بين سورية والدول العربية ليتم لهم الاستفراد بكل دولة على حده ، وهذه هي سورية تنجح في كل يوم باعادة **تجميع ما تفرق ؟..**

تلك هي مظاهر الحكمة ، وبراعة القائد الذي قد تمرس بعلم المبادرة التاريخية ، فاتقن فن تعطيل خطط الاعداء ، واتقن علم الوصول الى اهدافه .

ثامنا ــ براعة استحضار التعويض الاستراتيجي :

تواجه القادة في التاريخ ، بعض الهزات العنيفة في بنية النظام الدولي ، او في بروز سيطرة قوة بصورة اسرع من حسابها الممكن ، فتختل ــ اذ ذاك ــ موازين **جيواستراتيجية هامة** . وفي مثل تلك البرهة التاريخية تضطرب خطط القادة ، وتنوس بهم الصراعات الجديدة الوافدة ، وقد تكبر عليهم الامور فتذهب منهم بلادهم ، او يذهبون هم منها .

ولو استعرضنا شريط الحوادث التاريخية بعد الحركة التصحيحية لرأينا ان قائدنا كان مدركا لاتجاه التطور العالمي ــ **بقطبيته** ــ فيما يتعلق بسياسة الانفراج الدولي ، ومع ذلك عرف كيف يخوض حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣ منتصرا .

وخرج السادات بمصر من الخندق العربي ، فتوجه بسرعة لبناء الموقف من جديد عبر دول الجبهة الشرقية . وطرحت نهاية للحرب الباردة ، فزالت قطبية دولية برمتها ، ليصبح العالم اليوم امام قوة واحدة ، وهذا هو يدخل معركة السلام بقوة الحق والعدل وارادة صونهما ... (١٠) .

انه اذن القادر ــ **بحكمة** ــ على تعويض الخلل الاستراتيجي ، ولو ادى ذلك للاعتماد على النفس فقط . تلك الميزات كانت في التاريخ ، ولما تزل للرجال العظام البادئين .

تاسعا ـ حكمة استثمار الزمان ببعديه (البيولوجي والخارجي):

في الرؤية الداخلية ، والطبع الشمولي للقادة العظام في التاريخ ، نجد أن الزمان عنصر هام جداً من عناصر التكوين السليم لأي قرار في هدفية خدمة المواطن والوطن .

فلكل قرار زمانه المؤاتي ، ولكل زمان قراراته المستجيبة لطموح الناس . فلا يأتي القرار بغير زمانه . ولا يمر الزمان المناسب ويعجز القرار عن الصدور . فالحمل الزماني الصحيح للقرار ينضجه ويأتي به ولادة طبيعية معافاة .

ففي الزمن البيولوجي يكون القرار قد تشكل في اطواره عبر انفعال داخلي ، ونبض سليم ، وذهنية صافية ، ووجدان متيقظ صاح ..

وفي الزمن الخارجي يكون القرار قد اخذ من حسابات الزمن، وتعاقب الليل والنهار ما يرشده ، ويصوبه ، ويخرج به للناس مفيدا .

وهكذا شأن قائدنا المناضل حافظ الاسد . فقراراته ، جزء من **العمليات التاريخية التي يضطلع بها** ، ولذلك نراه يتقن استخدام الزمان والمكان ، فلا يستعجل عناصر الخلق التاريخي بدون النظر الى مستوى نضوجها ذاتيا وموضوعيا . الى جانب ذلك يأخذ الزمان في نظرياته الاحتمالية ، عبر عناصر تحوله وقوانين تطوره ، ويختبر نظرياته الاحتمالية باختبار الزمان الهادىء ، ليأتي اللاحق معززا للسابق ، وبانيا عليه ، ومتشكلا فيه في لوحة وطن المستقبل .

واذا نظرنا في الامثلة التطبيقية سنجدها كثيرة ايضا ، وواحد منها في الشأن اللبناني الذي لم يكن احد قادرا على التصديق ان سورية ستواجه اسرائيل وجنود المارينز من امريكا وفرنسا ، والداخل اللبناني المساعد لهما ، وستخرج فيما بعد منتصرة .

وهذه هي صحيفة **الاوبزرفر اللندنية** تقول في ٢٩ـ٢ـ١٩٨٥ :

« الرئيس الاسد هو العقل المدبر للنصر العربي في لبنان »(١١).

عاشرا ـ من الحياة الى المعرفة والنظرية :

هذا هو طريق القائد الجماهيري حافظ الاسد ، انه يرى الحياة بواقعها ، ووقائعها المتحركة . وتكويناتها المتمايزة ، تشكل المادة الاولية والاساس لكل عملية ذهنية معرفية ايديولوجية .

فالحياة هي الدفتر الذي يقرأ فيه كل شيء ، ووجدناه لم يبحث عن واقعنا العربي في النظريات الدولية او العالمية ، بمقدار ما كان ولا يزال يبحث في واقعنا العربي عن نظرياته الخاصة به ، والملائمة له .

فهو يتقن فن الافادة من التراث الانساني كتجربة علمية **معممة**، ويجيد تصميم الخاص القومي الذي يمتلك طابعه ومشروعيته ، وعلميتـــه .

ثم يعمل بجدية لتطوير هذا الخاص القومي ـ **كمشروع علمي مفتوح** ـ بحيث يصبح تجربة انسانية جديدة معممة . اي انه يمارس جدلية العام والخاص ، بحيث يخصص المعمم ، ومن ثم يعمم المخصص ، في اطار القاعدة التي تقول :

« ان النظرية رمـادية اللون ، وشجرة الحيـــاة باخضرار دائم . » .. (١٢) .

حادي عشر ـ اخلاقية الحكمة ، وملكة اجتماع العقل بالعاطفة :

التاريخ يعرف حكاما لم يتزين عقلهم بحرارة العاطفة ، او بحنو الوجدان .

وحكاما لم تزين عاطفتهم ملكة العقل الهادىء المستنير .

فمن نضجت لديه اخلاقية الحكمة ، **هو القائد الذي اجتمعت لديه ملكتا العقل والعاطفة** ، في صورة من التوازن ، تظهر روح الحكمة ، وقوة الموهبة التي يعز نظيرها .

وهكذا فالنضج بالمعنى الشمولي هو في توازن الانفعالات والمشاعر الاخلاقية ، والعقلية والجمالية .

ومن يتتبع سيرة حياة الرفيق المناضل حافظ الاسد ، سيلتقي بما لا يحصى من الامثلة التي تعطيه التجسيد الكامل لملكة اجتماع العقل بالعاطفة .

وهنا يكمن السر الاخلاقي فيه الذي يجعله يفكر دوما كيف ستكون قراراته المصيرية منطلقة ، من مصالح الجماهير ومحققة لها ، وكيف يمكن ان يبقى توهج المشاعر الجماهيرية موصلا الى تصوف وطني سليم ، قاعدته المحبة المطلقة للوطن والثورة . فاذا كان الحزب يمثل عقل الجماهير ، فالقائد هو **ضمير الحزب والجماهير وهو ضمير الامة بالنهاية** . ولذلك نجد الرفيق المناضل حافظ الاسد يقول :

((لا يجوز ان نربط الوحدة العربية بالخلافات العربية ، بل تشكل الوحدة حلا فوريا وجذريا لها . ان الوحدة قضية فكرية استراتيجية مصيرية)) .

وهو الوحيد ـ من بين العرب ـ من يجسد بسلوكه هذه المقولة الرائعة ، ومثال اللقاء مع الاردن ، او مع العراق ، دلالاته كبيرة على مصداقية اخلاقية الحكمة وملكة اجتماع العقل بالعاطفة .

فالعقل المزين بعاطفة الانسان ونبض الوجدان . والعاطفة المتزينة بضمير وذهن حاضر متوقد عملاق . هذا ما يميز الرفيق المناضل حافظ الاسد .

ـ المصادر والهوامش ـ

١ ـ حافظ الاسد القائد التاريخي ـ محاضرة للرفيق عبد الحليم خدام نائب رئيس الجمهورية . كراس صادر عن اتحاد شبيبة الثورة ـ ص ٨

٢ ـ نضال حزب البعث العربي الاشتراكي من ١٩٤٣ ـ ١٩٨٠ ـ كتاب صادر عن القيادة القومية للحزب ـ دمشق ١٩٨٣ ـ ص ١١٣

٣ ـ كلمة الرفيق الامين العام للحزب المناضل حافظ الاسد في مؤتمر الشبيبة الخامس ـكراس صادر عن مؤسسة الشبيبة ١٩٩٠ ـ ص ١٢

٤ ـ كلمة الرفيق الامين العام للحزب في مؤتمر الشبيبة الخامس ، كراس المصدر نفسه ص ١٧

٥ ـ نضال حزب البعث العربي الاشتراكي ـ المصدر السابق ـ ص ١٤٣

٦ ـ كلمة الرفيق الامين العام في مؤتمر الشبيبة ـ المصدر السابق ص ٢٣

٧ ـ كذلك قال الاسد ـ مختارات وتقديم العماد طلاس ـ الطبعة ٢ ـ ١٩٨٥ ـ ص ٨٨١

٨ ـ كذلك قال الاسد ـ المصدر نفسه ـ ص ٨٩١

٩ ـ كذلك قال الاسد ـ المصدر نفسه ـ ص ٨٩٢

١٠ ـ رسالة الرفيق الامين العام بعد تجديد البيعة ـ جريدة الثورة ـ العدد ٥ـ١٢ـ١٩٩١

١١ ـ كذلك قال الاسد ـ المصدر نفسه ـ ص ٨١٦

١٢ ـ مقولة شهيرة للشاعر الالماني غوته .

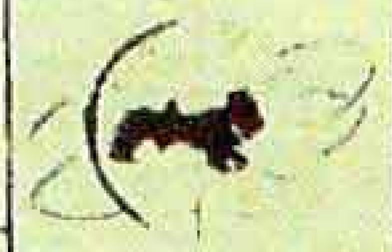

النظام العالمي الجديد بين الحقيقة والوهم ؟؟

التردي الاقتصادي العنوان الرئيسي في العالم

وهل في ظل ذلك يمكن بناء نظام عالمي جديد ؟ . .

الرفيق : فوزي الجودة

ما ان وضعت حرب الخليج اوزارها عام ١٩٩١ حتى بدات تظهر بعض معالم النظام المرتقب ، وحلت ظاهرة القطبية الاحادية المتمحورة حول الولايات المتحدة الاميركية محل القطبية الثنائية ، التي كان الاتحاد السوفياتي احد طرفيها . وذلك بفعل انتصار الولايات المتحدة في حرب الخليج على راس التحالف الدولي الذي قادته ، وبفعل تفكك الاتحاد السوفياتي وانحسار ظله كدولة عظمى ، بذلك انتهت مرحلة من الصراع الدولي عرفت بالحرب الباردة ، بيد ان ارهاصات صراع من نوع جديد بدات تتكشف على الساحة الدولية ، ويبدو ان الطابع الغالب عليه سيكون اقتصاديا في موضوعه واطرافه وادواته واهدافه .

ويلوح في الوقت الحاضر ان اطراف الصراع الاقتصادي سوف تشمل اقله بداية ثلاث قوى اقتصادية هي : مجموعة اميركا الشمالية ، والمجموعة الاقتصادية الاوروبية ، ومجموعة شرق آسيا بقيادة اليابان .

ما هو شكل النظام العالمي الجديد ؟

قبل الاستطراد حول النظام العالمي الجديد ، يمكن الاشارة الى ان التطور العالمي للاحداث في العام الماضي ، وبالذات نهاية

الامبراطورية السوفياتية ، ابرز بشكل فعلي وجها لنظام عالمي جديد ،ارادت الولايات المتحدة الاميركية **أن ترسم** خطوطه المريضة عندما **عقدت** مؤتمر الامن والتعاون الاوربي في باريس في / ١٩ تشرين الثاني ١٩٩٠ / (**ضم الاجتماع رؤساء دول حلفي الناتو ووارسو** وتم فيه الاتفاق على **انهاء** الحرب الباردة ، وعلى اثر نجاح ذلك المؤتمر ، تحدث الرئيس الاميركي في مناسبات عدة عن العالم الجديد مؤكدا : **« أن الولايات المتحدة لن تسعى الى السيطرة على العالم والقيام بدور الشرطي ، مرددا ماصدر عن المؤتمر الاوربي ، من تأكيدات بضرورة تحقيق السلام العالمي والتعاون الاقتصادي واحترام حقوق الانسان » ؟!** ورددت الوثيقة التي صدرت عن المؤتمر المبادىء الاساسية الواردة في ميثاق الامم المتحدة وبخاصة المبادىء التي تحكم العلاقات الدولية ، والتي تقوم على اساس حقوق الغير ، والتعاون ، وعدم اللجوء الى القوة ، وتسوية الخلافات بالطرق السلمية ، **فاين الجميع من هذا الكلام ؟**

تردي الوضع الاقتصادي الاميركي ..

قبل نحو عام مضى ، كان يبدو من شبه المؤكد ان الرئيس الاميركي جورج بوش ، سوف **يفوز** بولاية رئاسية جديدة في الانتخابات ، دون بذل كثير عناء بفضل انتصار قوات التحالف متعددة الجنسيات في حرب الخليج ، اما الان فقد **تغير هذا الوضع** راسا على عقب ، وقد بتنا على باب قوسين من مباشرة الحملة الانتخابية ، **والسبب** الرئيسي لهذا الوضع هو : ان الاميركيين باتوا يشعرون ان بلادهم لم تعد تلك القوة العظمى التي يحسب لها الف حساب على الصعيد الاقتصادي ، بل على طريقها في **التراجع** الى المرتبة الثانية او الثالثة في الترتيب الاقتصادي لدول العالم ، والدلائل على ذلك كثيرة ، فاذا ماتركنا جانبا احصاءات البطالة ، والناتج الصناعي ، نجد ان اليابان باتت **تتفوق** على الولايات المتحدة في معظم القطاعات الاقتصادية ، وذلك ليس على صعيد الصادرات الى دول العالم وحسب ، وانما في **عقر** دار الولايات المتحدة نفسها والامثلة اكثر من ان تحصى وتعد .

ويدرس الاستراتيجيون ، ورجال الادارة الاميركية بسرعة متناهية السياسات الجديدة التي على بلادهم **انتهاجها** بعد انتهاء الحرب الباردة وذوبان الاتحاد السوفياتي في ذمة التاريخ ، ولكي لا يحدث لها **ما حدث** للطرف الاخر ، الجانب السوفياتي ..

وهناك اكثر من اتجاه للخروج من هذا المأزق :

تبلور اكثر من اتجاه يتضمن اقتراحات منها :

أ ـ اتجاه يدافع عنه أصحاب المصالح الاقتصادية ، والمالية، ويدعو الى **تحجيم** القوة العسكرية الاميركية الراهنة ، فما دام **العدو** قد سقط وتلاشى ، فما الداعي لالقاء اكثر من / ٨٠ مليار دولار سنويا في « بالوعة » الانفاق العسكري ؟ ..

ويطرحون سؤالا آخر : لماذا لايتحول هذا الانفاق الى استثمارات في مجالات العلوم والتكنولوجيا **لمجاراة** دول مثل اليابان والمانيا ؟..

ان الولايات المتحدة **سيطرت** على العالم بعد الحرب العالمية الثانية بتفوقها المذهل في التكنولوجيا ، وكانت في ذلك الوقت **تفخر** بانها الدولة التي تسبق الآخرين في صناعات السيارات ، والتلفزيونات ، والاتصالات ، وغيرها من الصناعات الترفيهية الحديثة .. ولكن ذلك **تراجع** الآن وبدت السلع الاميركية وكأنها **جيل قديم** قياسا بمثيلاتها اليابانية والالمانية ، ومن ثم لابد من الدخول في سباق المنافسة التكنولوجية ، والتجارية ، والعمل بكل **قوة على الفوز** في هذا السباق .

الا ان هذا الاتجاه **لا يحظى بتاييد** العسكريين الاميركيين ، وبعض السياسيين الذين يدورون بفلك تروستات السلاح ، والمؤسسات العسكرية ، وان الرئيس الاميركي جورج بوش **من انصار** هذا الاتجاه **فقال في احدى المناسبات** : « بصرف النظر عن التغييرات التي طرات على التهديد السوفياتي ، فان العالم يظل مكانا غير آمن في ظل التهديدات التي تتعرض لها المصالح الاميركية في اماكن اخرى متفرقة » .

٢ ـ **اذا لم تصن اميركا : استقلالها الاقتصادي ، وقدرتها على المنافسة** ، فان **حرية** تحركها في العالم ، **وامنها القومي** سيتعرضان لافدح الاخطار ، ويجب **الاعتراف** باهمية التحديث الصناعي في ضمان الامن القومي ، والكف عن **حماقة** رصد الاموال الطائلة لتطوير القدرات العسكرية دون سواها على حد قول مستشار الرئيس الاميركي **« تيودور سورنيسن »** .

٣ ـ الاتجاه الذي يؤمن بفلسفة **الستار الحديدي** ، **يؤمن** بالانغلاق داخل الولايات المتحدة ، والاكتفاء بالعلاقات الاقليمية مع

اميركا اللاتينية كفترة نقاهة لاستعادة القوة الذاتية بجميع اشكالها، ثم الخروج الى العالم مرة اخرى بصورة مختلفة ، كما حدث بعد الحرب العالمية الثانية ، وانصار هذا الاتجاه يؤمنون بنفوذ الجغرافية ، ويقولون : « ان المحيط الهائل الذي يفصلنا عن اوروبا من جهة ، وآسيا من جهة اخرى ، هو **الستار الحديدي الطبيعي لنا** » .

٤ ـ اعادة **هيكلة** الاقتصاد الاميركي ، وعدم الاكتفاء بعمليات اصلاحية لا تزيد في الواقع عن كونها **نوعا من المسكنات** ، ولن يجدي لوم اليابان بسبب سياستها الاقتصادية **التي تغلق** السوق اليابانية في وجه عدد من الصناعات الاميركية في الوقت الذي **ترتع** فيه الصناعات اليابانية في كل انحاء اميركا ، وقد اضطر الرئيس بوش اثناء زيارته للشرق الاقصى **للتراجع عن هجومه** على اليابان ، بعد ان نصحه اليابانيون **(كان قد اختار الموضوع والاسلوب الخطأ في توجهه الى الشعب الياباني)** ولم يترددوا في القول انه لايمكن لليابان ان **تقوم بحل** الازمة الاقتصادية في اميركا التي تعود اصلا الى **اخطاء** السياسات التي تتبعها هي ..

٥ ـ يشير عدد آخر من المراقبين الى ان اميركا قد دابت على تأجيل **دفع** تكاليف اي حرب دخلتها ابتداء من الحرب الاهلية في عام / ١٨٨١ / حتى حرب فيتنام لتدفعها الاجيال الاميركية اللاحقة **(تكفلت الدول العربية واليابان والمانيا وغيرها من الدول بدفع تكاليف حرب الخليج !)** ،حتى الحرب الباردة كسبتها اميركا عندما اجبرت الاتحاد السوفياتي على الاعتراف بانه لايمكن ان يجاريها في الانفاق العسكري ، وذلك بعد افلاسه تماما ولكن ذلك لم يتحقق الا بعد ان اصبحت اميركا **اكثر** دول العالم في التاريخ مديونية ، اذ **بلغت** ديونها (٣ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار) ثم ان الاقتصاد الاميركي **مايزال اقتصاد حرب** ، اي يعتمد على صناعة السلاح وبيعه ، اما للقوات الاميركية او للدول الاجنبية .

٦ ـ دعا خبراء اقتصاديون اميركيون الى **تخفيض** حاد في الانفاق الاستهلاكي ، والانفاق الحكومي لتشجيع نمو الاقتصاد في المدى البعيد من خلال زيادة المدخرات ، لان **احد اسباب** الركود الذي يواجهه الاقتصاد الاميركي يتمثل في ارتفاع الاستهلاك على حساب الاستثمار ، وتدني الانتاجية الاميركية الى اقل مستوى لها خلال العشرين عاما الماضية ، واصبح الشرط الاساسي لزيادة الاستثمارات يتطلب تخفيض العجز الحكومي بالاضافة الى زيادة

الادخار الفردي ، وادخار الشركات ، وان الخبراء الاقتصاديين يتوقعون انه من الممكن **احراز** تقدم كبير في معدل النمو الاقتصادي في العقد القادم من خلال الجمع بين **تخفيض** العجز **وتعزيز** حوافز الاستثمار .

وركود في دول المجموعة الاوربية ..

ذكر مكتب احصاءات المجموعة الاوروبية : ان **الناتج** الصناعي في دول المجموعة الاوروبية الاثنتي عشرة سجل هبوطا بنسبة / ٦٪ / في المائة خلال شهر تشرين الاول / ١٩٩١ / بالمقارنة بالشهر نفسه من العام / ١٩٩٠ / .

واشارت الارقام الخاصة عن الاشهر الثلاثة : آب ، وايلول، وتشرين الاول العام / ١٩٩١ / **موضحة الانخاض** بنسبة ٩ر٩ في المائة عن الاشهر الثلاثة التي سبقتها ، وان نسبة الركود في القطاع الصناعي **سجلت انخفاضا شديدا ولاسيما في مجال السيارات** .

وفي لندن ..

اظهرت ارقام الحكومة ان بريطانيا وصلت الى حالة الركود الاقتصادي التي تعاني منها الان بسبب افراطها الشديد في الانفاق في الثمانينات .

ويظهر تقرير الاتجاهات الاجتماعية في العام / ١٩٩٢ / وهو دليل رسمي عن **تغير** وجه المجتمع البريطاني ، كيف انضم البريطانيون البالغ عددهم / ٥٧ / مليون نسمة الى اتفاق تزعمته الولايات المتحدة على الديون الاستهلاكية في منتصف الثمانينات .

واظهرت احصاءات في التقرير (المكون من ٢٥٠ صفحة) **الذي** اصدره المكتب المركزي للاحصاءات ان **حجم** الديون الاستهلاكية المستحقة زاد الى اكثر من **مثليه** في الفترة مابين عامي ١٩٨١ و ١٩٩٠ ليصل الى مايزيد بكثير عن / ٥٠ / مليار جنيه استرليني /٩٠ / مليار دولار / .

وتراجعت المدخرات الشخصية بشدة خلال الفترة نفسها الى حد انه منذ عام ١٩٨٦ وهو ذروة **الطفرة** الضخمة في القروض الاستهلاكية تجاوز مجمل المصروفات العائلية ، الدخل المتاح .

وفي اليابان ..

بلغ **حجم الفائض** في الميزان التجاري في اليابان خلال العام ١٩٩١،

حوالي / ٧٨ / مليار و ٢٠٠ مليون دولار ، بزيادة / ٥٠ بالمائة عن معدلات العام ١٩٩٠ / ، وهذه الزيادة تنهي فترة اربع سنوات من الانخفاض المستمر ، **وتؤكد** المحاولات العالمية لتدعيم قيمة الين .

وقد اوضحت الاحصائيات زيادة قيمة الصادرات بنسبة ٩٫٦ في المائة الى ما قيمته / ٣١٤٫٦ مليار دولار ، بينما زادت الواردات بنسبة / ٠٫٧ في المائة الى ما قيمته / ٢٣٦٫٤ مليار دولار .

واشارت ارقام شهر كانون الاول الماضي الى ان **الفائض** قد سجل زيادة تقدر بحوالي / ٨٤ في المائة مقارنة بالشهر نفسه من عام / ١٩٩٠ / ، وبلغت قيمته حوالي / ١٠ / مليار دولار ، ومن المعتقد وان **الفائض** خلال العالم الحالي سيزيد من الرقم القياسي السابق وكان / ٨٢ ومليار و / ٧٤٠ / مليون دولار العام الـ / ١٩٨٦ / ، وقد زادت **صادرات** اليابان الى دول المجموعة الاوروبية بنسبة / ١٠٫٥ بالمائة ، بينما انخفضت وارداتها من المجموعة بنسبة / ٩٫٢ في المائة مما نتج عنه **فائض** تصل قيمته الى حوالي / ٢٧ / ملياراً و / ٢٧٠ / مليون دولار ، وبزيادة تقدر بحوالي / ٤٨ / في المائة .

سمات مميزة للعالم الثالث ..

ان **مجتمعات** الدول الصغرى والفقيرة تندرج في خانة « **العالم الثالث** » وتواجه مجتمعاتها **معضلات عصية** تختلف اختلافا بينا عن المشاكل التي تواجه المجتمعات الاكثر تقدما ، ففيما مشاكل المجتمع في العالم الصناعي تبدو **نتاجا** او افرازا لاداء النظام الاقتصادي المطبق او لسوء ادائه ، فان **معضلات** المجتمع في بلدان العالم الثالث **تبدو** الى حد بعيد عضوية الطابع ، وبالتالي **مزمنة ، او موروثة ، او متاصلة** ، انها تقتضي اكثر مما يستوجب **مجرد** تصحيح خلل ، او ردم ثغرة في اداء النظام ، انها تتطلب تعويض نقص اساسي في النظام وهذا يقتضي من البذل من جانب الدولة ما يشكل جهداً منهجيا وظيفيا منظما من النوع الذي لايتولد عفويا من داخل النظام .

ان التنمية **خيار مركب** فيه قسط محسوب من التخطيط المركزي ، وفيه قسط من اخلاء السبيل امام المبادرة الذاتية لتاخذ مداها في الانتاج والابداع والانجاز على نحو ما هو مفترض ، وفيه تتصدر الدولة بطبيعة الحال اللعبة بدور اللاعب النشط على

مستوى القيادة ، والريادة ، والتخطيط الشامل ، واستحضار الامكانات ، والطاقات البشرية ، والمادية اللازمة على اشكالها من مصادرها الخاصة ، والعامة على السواء ، وتعبئتها في **خدمة قضية التنمية الشاملة « التنموية » ، وليس الراسمالية المجردة هي خيار العالم الثالث .**

الولايات المتحدة لا تفكر الا بمصالحها ..

ان التاريخ يشير بوضوح الى ان الدولة التي **تصل الى القمة** لا تفكر الا بمصالحها ، اما مصالح الشعوب والمبادىء والقيم الانسانية فتاتي **في مرتبة متاخرة** ، واذا كانت هناك مقولات عن النظام العالمي الجديد الا ان تشكيكا بتطبيقها وارد معها ، ومن تاريخ الولايات المتحدة امثلة ولم يكن الرئيس بوش اول رئيس للولايات المتحدة يعلن عن ضرورة **احترام سيادة الدول الاخرى**، اذ سبقه الى ذلك الرئيس ويلسون على اثر الحرب العالمية الاولى التي امكن حسمها **لمصلحة الحلفاء** عندما قررت الولايات المتحدة دخول الحرب ضد المانيا فاعلن عن نقاطه الاربع عشرة التي تدور كلها حول **العدالة الدولية وحق الشعوب في تقرير المصير** .

وعندما اعلن الرئيس الاميركي روزفلت عن دخول الولايات المتحدة الحرب ضد دول المحور واليابان راى استبدال عصبة الامم بعد انهيارها بالامم المتحدة ، وعمل على وضع نظام عالمي جديد ، وتبنت الولايات المتحدة ميثاق الامم المتحدة الذي تم توقيعه عام ١٩٤٥ ، وهو ميثاق **يتضمن** كل المبادىء التي ترجو كل شعوب العالم ان تراها نافذة ومطبقة ، الا ان **تعارض** مصالح الدول الكبرى ادى الى عدم تنفيذ الكثير من المبادىء الاساسية التي قام عليها الميثاق مثل منع الحروب ، واستقلال الشعوب ، وتطبيق مبدا حقوق الانسان وحرية تقرير المصير .

وقد راى الرئيس الاميركي بوش ان الولايات المتحدة اصبحت **مؤهلة** للاعلان عن النظام العالمي الجديد اكثر من اي وقت مضى ، فهو لايواجه المعارضة الخارجية والداخلية التي تعرض لها الرئيس ويلسون على اثر الحرب العالمية الاولى ، كما انه لم يعد يواجه معارضة الاتحاد السوفياتي لسياسة الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ، فانطلقت اميركا بطرح مفاهيمها لسمة النظام العالمي الجديد ، والتي لا تتعدى مفاهيمها النظرة القديمة — الجديدة للولايات المتحدة ، والغرب ، واستبعاد دول العالم وشعوبها من انه

يكون لها دورا في صياغة مفاهيم هذا النظام ، الا ان بوش نفسه أصبح امام مواجهه حقيقية ، ذاتيه .

ونشير هنا الى ان هناك بعض المسائل التي تعتبر عوائق من وجهه النظر الاميركيه :

١ – القوه العسكرية التي تمتلكها الولايات المتحدة حاليا لاتؤهلها لزعامه العالم ، وسيلعب العامل الاقتصادي دورا رئيسيا في تطور النظام العالمي .

٢ – زوال التهديد السوفياتي لدول حلف الناتو **ينهي** احتياج المجموعه الاوروبيه لغطاء عسكري اميركي لحمايتها من الكتلة الشرقية ، وقد **تحول** حلف الناتو الى قوه لم يستطع – حتى الآن – أعضاؤه **تحديد اهدافه الجديده بعد زوال حلف وارسو** ، بل كان طلب الرئيس الروسي يلتسين ان تنضم روسيا الى حلف الناتو ، مما يثير الحيرة حول **دور هذا الحلف** ، ولا يبقى امام هذه القوة العسكرية بقيادة امريكا سوى أن تقوم بدور بوليسي في العالم وهو دور يحتاج الى تفاهم سياسي كامل بين اعضاء الحلف ، ومن الواضح ان زيادة القدرة الاقتصادية للمجموعة الاوروبية ستجعلها **صاحبة راي مستقل** بالنسبة الى السياسة الاميركية .

الموقع العربي من المجريات ..

ابرزت التحولات الدولية الاخيرة **حقيقتين** مهمتين لابد للعرب ان يعوهما اذا كان لهم ان يجدوا لانفسهم مكانا تحت الشمس على ساحة الاقتصاد العالمي ، **الحقيقة الاولى : هي ان تحديد الهوية الاقتصادية لاي مجتمع بتحديد هويته السياسية ، والحقيقة الثانية : هي ان العصر الاقتصادي المقبل هو عصر التجمعات الاقتصادية العملاقة ولا مكان فيه للصغير .**

فلن يكون موقعا على هذه الخريطة ، وهم متفرقون اقطارا متنافرة ، وفرصتهم الوحيدة لكسب موقع يوازي حجمهم القومي هي في جمع شتاتهم لمواجهة العالم في صورة الكتلة الاقتصادية الواحدة .

ان العرب يملكون ما لايملكه غيرهم من المقومات البشرية ، والمادية والاحتياطية ، ويكفي ذلك في ان تقوم بين اقطاره **وحدة اقتصادية** متماسكة ، بالاضافة الى ذلك انه لم يعد ينقص العرب الخبرات ، وان اغلبيتها تعمل في بلدان صناعية ، ولها دورها الفعال ، ولا نعتقد اذا فسح لها المجال وتحققت لها المقومات

والمكونات الاساسية انها ستبخل في تقديم خبرتها وتسخيرها من اجل الامة التي انشأتها ، وانه جاء الوقت الذي يجب على العرب ان **يعتمدوا على انفسهم بكفايه ذاتيه** ، وعلى ان لايبقوا رهناء لصناعات استغلالية تبتزهم ، وتزيد في عدم تقدمهم .

اين نحن مما يقال عن نظام عالمي جديد ؟

ربما الاجابة على هذا السؤال تبلورت خاصة بعد حرب الخليج، وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي ، وما وصلت اليه المبادره الاميركية للسلام في المنطقة وموقف اسرائيل منها ، **فقد تصور البعض** ان العدوان الاسرائيلي على الدول العربية يمكن انهاؤه عن طريق **ارغام** اسرائيل على تنفيذ قرارات الامم المتحده ، كما تم **ارغام** القوات العراقية على الانسحاب من الكويت ، تنفيذا لقرارات مجلس الامن ، ونادى البعض بان الرئيس الاميركي **لايمكن أن يكيل بمكيالين** خصوصا انه ينادي بعالم جديد يقوم على احترام ميثاق الامم المتحدة وقراراتها ؟! ، **ثم تبين ان الولايات المتحدة ابعد ماتكون عن ردع العدوان على اساس المبادىء ، والا كان عليها ان تقوم بالاجراء نفسه ازاء العدوان الاسرائيلي .**

وها هي المبادرة الاميركية اصبحت الآن العوبة في يد «اسرائيل» التي تصر على أن تكون لها اليد الطولى بالنسبة لاي امر يتعلق بالمبادرة مهما صغر شانه ، كتحديد موعد لاجتماع الوفود او مكانها ، ومما يضعف من جدية المبادرة الاميركية اسراع الولايات المتحدة لارضاء اسرائيل على الرغم من اعلانها المستمر رفض تنفيذ المبادرة اذ خضعت لطلب اسرائيل بالغاء القرار الصادر عن الامم المتحدة عام ١٩٧٥ الذي ينص على ان الصهيونية والعنصرية صنوان ، **وحشدت** الولايات المتحدة كل قواها للعمل على الغاء هذا القرار وعملت سفاراتها في الخارج على ضمان حصول الولايات المتحدة على ثلثي الاصوات اللازمة لالغاء القرار ، ولا يكفي ذلك وبعد ايام قلائل اقدمت اسرائيل على اتخاذ قرار بطرد اثني عشر فلسطينيا من ديارهم بحجة « الامن » واذا لم يكن هذا الاجراء نوعا من التفرقة العنصرية ، فماذا تسميه الولايات المتحدة ؟ وتدفع الولايات المتحدة الى المباحثات متعددة الاطراف في موسكو ، قبل ان تحقق جولات المباحثات في مدريد وواشنطن اي تقدم ، وما تقدمه الولايات المتحدة من هبات وقروض لاسرائيل الخ ...

وتواصل وزارة الخارجية الاميركية والرئيس بوش الحديث عن

السلام في الشرق الاوسط بين الحين والآخر ، الا انها لاتقوم بعمل **يدل على قدرتها** على تنفيذ المبادرة ، بل تبادر الى تنفيذ **ما تطلبه** اسرائيل من امور تؤدي الى تعطيل المبادرة ، وقد تستمر المفاوضات بل قد يستمر الشروع فيها شهورا طويلة قبل **ان تتحقق خطوة نحو السلام .**

اما الرئيس بوش فلم يعد امامه سوى **مشكلة كبرى** عليه ان يعالجها في هذه السنة الانتخابية ، وهي **تدهور** الاقتصاد الاميركي **وزيادة البطالة** لذلك فان السلام في الشرق الاوسط ياتي في آخر جدول اعماله .

النظام العالمي المطلوب ..

ان الشعوب عامة تتطلع الى قيام نظام عالمي جديد تنتفي فيه عناصر الاستغلال ، والهيمنة ، وتسود فيه العدالة والمساواة ، والتكافؤ ، وحق تقرير المصير .

واننا كعرب لنا قضيتنا المركزية ، وقضايا اخرى ، نتطلع الى السلام العادل ، والشامل الذي يعيد الاراضي العربية المحتلة لاصحابها ، والحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني .. واننا نتطلع الى ان تسود العالم علاقات الصداقة والتعاون المبني على اسس العدل، والحق، واننا لا نستطيع ان نقول : ان هناك نظاما عالميا جديدا ، الا اذا تحققت فيه طموحات الشعوب باستقلالها وصيانته ، وسيادتها على اراضيها وابعاد شبح الهيمنة والسيطرة .

وشيء من الاستعجال ان يقال : ان نظاما عالميا قد تكون من جديد ، لان الواقع يشير الى ان مفاهيم اميركية وغربية قديمة تقدم، ربما باساليب جديدة ، ليقال عنها « النظام الجديد » ولا يبدو ان الولايات المتحدة الاميركية التي تقول اكثر من غيرها عن هذا النظام ان في نيتها تبديل سياستها التي تعتمد على تحقيق مصالحها ومصالح حلفائها ، وان النظام العالمي الجديد هو الذي تختاره الشعوب والذي يحقق مصالحها .

النظام العالمي الجديد والغاء القرار ٣٣٧٩ الذي ساوى الصهيونية بالعنصرية ..

الرفيق د . غازي حسين

في السادس عشر من كانون الاول ١٩٩١ وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة بناء على **مساعي الولايات المتحدة الاميركية ، وباسم النظام العالمي الجديد** على الغاء قرار الجمعية العامة رقم ٣٣٧٩ الذي يعتبر بان الصهيونية شكل من اشكال العنصرية والتمييز العنصري .

ونجحت الولايات المتحدة بحشد مئة واحد عشر صوتا لصالح قرار الالغاء ، واعتراض ٢٥ دولة ، بينها خمس عشرة دولة عربية من اصل ٢١ دولة من دول الجامعة العربية ، وامتناع ١٣ دولة عن التصويت من اصل ١٦٦ عضوا ، مجموع الدول الاعضاء في الامم المتحدة .

وكان **القرار ٣٣٧٩** ، الذي صدر في العاشر من تشرين الثاني عام ١٩٧٥ قد فاز باغلبية ٧٢ دولة واعتراض ٣٥ وامتناع ٣٢ عن التصويت .

والدول التي عارضت قرار الالغاء هي : **افغانستان ، الجزائر، بنغلادش ، بروناي ، كوبا ، فيتنام ، كوريا الشمالية ، اندونيسيا ، ايران ، ماليزيا ، مالي ، موريتانيا ، باكستان ، سيريلانكا ، سورية، لبنان، ليبيا ، العراق ، الاردن، الصومال، السعودية ، السودان ، اليمن ، والامارات العربية .**

والدول التي امتنعت عن التصويت هي : انغولا ، بووركينافاسو اثيوبيا ، غانا ، لاوس ، المالديف ، موريشيوس ، بورما ، ترينداد توباغو ، تركيا ، اوغندا ، تنزانيا ، زيمبابوي .

والدول التي لم تشارك في التصويت هي : **البحرين ، الكويت ، مصر ، المغرب ، سلطنة عمان ، جيبوتي ، تونس ، تشاد ، جزر القمر ، غينيا الاستوائية ، غينيا بيساو ، النيجر ، السنغال .**

ويتكون قرار الالغاء من سطر واحد صاغه نائب وزير الخارجية الاميركي لورنس ايغلبرغر .

وفيما يلي نص القرار :

« تقرر الجمعية العامة نبذ الحكم الوارد في قرارها رقم ٣٣٧٩ ».
واعتبر الكيان الصهيوني الغاء القرار ٣٣٧٩ نصرا تاريخيا ، وهاجم الدول العربية التي عارضت الغاءه .

وهنا يتساءل الانسان العربي ! لماذا لم تلتزم الدول العربية السبع التي غابت عن التصويت بقرارات القمم العربية والاسلامية، وبالموقف العربي الرسمي الشعبي ، وحتى قرارات المجموعة العربية في الامم المتحدة بالدفاع عن القرار ومعارضة الغائه ؟.

كيف يمكن للدول الاجنبية الصديقة ان تقف ضد الغاء القرار ، وعندما تجد ان دولا عربية من اسيا وافريقيا تتضامن فعلاً مع الغائه ، بل وترحب سرا بالالغاء ؟

جاء الغاء القرار الذي ساوى الصهيونية بالعنصرية ، في وقت تظهر فيه اسرائيل للعالم اجمع بانها تمارس العنصرية والارهاب والاستيطان كسياسة رسمية ، بل تصعد من عنصريتها واستيطانها وارهابها .

استغلت الولايات المتحدة النظام العالمي الجديد لكي تقول ، ان الصهيونية ليست عنصرية وانها لا تمارس التميز العنصري ، وتخلت الامم المتحدة عن قناعاتها وقراراتها ومبادئها والنتائج التي توصلت اليها لجان التحقيق الدولية ولجنة ممارسة الشعب الفلسطيني للحقوق الثابتة غير القابلة للتصرف بمنتهى البساطة ، استجابة لهيمنة القطب الواحد على النظام العالمي الجديد ، وعلى

الامم المتحدة بجميع هيئاتها وخاصة الجمعية العامة ومجلس الامن الدولي .

عندما اتخذت الامم المتحدة قرارها رقم ٣٣٧٩ بررته بالعديد من القرارات منها قرار الجمعية العامة رقم ١٩٠٤ (د ــ ١٨) المؤرخ في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٣ بشأن القضاء على جميع اشكال التمييز العنصري ، والقرار رقم ٣١٥١ ز (د ــ ٢٨) المؤرخ في ١٤ كانون الاول ١٩٧٣ حول التحالف الاثم بين العنصرية في جنوب افريقيا والصهيونية ، واعلان **المكسيك** في المؤتمر العالمي للمراة بتاريخ ٢ تموز ١٩٧٥ والذي ينص على ان التعاون والسلم الدوليين يتطلبان تحقيق التحرر والاستقلال القوميين وازالة الاستعمار الجديد، والاحتلال الاجنبي والصهيونية والفصل العنصري والتمييز العنصري بجميع اشكاله ، والقرار ٧٧ الدورة ١٢ لمجلس رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الافريقية في كمبالا في ١ آب ١٩٧٥ والذي جاء فيه « ان النظام العنصري الحاكم في فلسطين المحتلة والنظامين العنصريين الحاكمين في زيمبابوي وافريقيا الجنوبية ترجع الى اصل استعماري مشترك » ، والاعلان السياسي الصادر عن وزراء خارجية دول عدم الانحياز المنعقد في **ليما** بالفترة الواقعة ما بين ٢٥ ــ ٣٠ آب ١٩٧٥ ، الذي ادان الصهيونية بأقصى شدة بوصفها تهديدا للسلم والامن العالميين ، وطلب من جميع البلدان مقاومة هذه الايديولوجية العنصرية الامبريالية .

ولكن عندما اتخذت قرار الالغاء لم تبرره ولا بكلمة واحدة او قرار واحد ، وانما اعتمدت على **السيطرة الاميركية على النظام العالمي الجديد .**

هل فكرت الدول التي ايدت الغاء القرار ٣٣٧٩ فيما اذا كان نصه ينطبق على الصهيونية كايدلوجية وحركة وكيان ، ام انها رضخت بدون مناقشة وبدون تفكير الى المساعي الاميركية والصهيونية لالغائه .

ان عنصرية الصهيونية والنضال ضدها لم يبدأ بقرار دولي وينتهي بقرار دولي ، فالغاء القرار لا يعني على الاطلاق ان الصهيونية تخلت عن ايديولوجيتها العنصرية ، وان الكيان الصهيوني تخلى عن العنصرية في قوانينه وممارساته .

لماذا يتغاضى النظام العالمي الجديد عن عنصرية الصهيونية تجاه العرب ويقيم الدنيا ويقعدها اذا اقتلع حجر واحد من احدى المقابر اليهودية في المانيا او فرنسا ؟.

لماذا يحارب النظام العالمي الجديد العنصرية في اي مكان ويسكت **عن عنصرية الصهيونية الموجهة ضد العرب ؟.**

ان سكوت المجتمع الدولي وتغاضيه عن عنصرية الصهيونية داخل اسرائيل وفي الاراضي العربية المحتلة يظهر بجلاء **الازدواجية في اخلاقية الموقف الامريكي** .

لماذا يؤيد النظام العالمي الجديد ، هجرة يهود العالم الى فلسطين العربية ولا يطبق قرارات الشرعية الدولية بخصوص حق العودة للشعب العربي الفلسطيني الى وطنه فلسطين ؟

اليس هذا منتهى العنصرية والتمييز العنصري ؟!! اذ يسمح لاي يهودي لا يمت لفلسطين بصلة بالمجيء اليها ، بينما لا يسمح لي « **انا العربي** » المولود في فلسطين ، وطني ووطن آبائي وآجدادي بالعودة اليها ؟.

اليس هذا منتهى **العنصرية والتمييز العنصري** القائم على اساس الدين اليهودي والجنس العربي ؟

لماذا تؤيد الولايات المتحدة هجرة اليهود الى فلسطين على حساب الحق العربي والوطن العربي والانسان العربي ؟.

اليس هذا تمييزا عنصريا مقيتا ، بل ابشع انواع العنصرية والتمييز العنصري ؟! ان الغاء القرار هدية امريكية فرضتها على الامم المتحدة لمكافأة اسرائيل على تماديها في العنصرية والاستيطان مما يدفعها الى المزيد من التوسع والعدوان ، لان التبرئة الظالمة للصهيونية من العنصرية ستشجعها على المزيد من اضطهاد العرب وسرقة مياههم واراضيهم وانتهاك حقوقهم الوطنية .

ويجسد الالغاء **هزيمة نكراء للشرعية الدولية** وللامم المتحدة في تطبيق مبادىء واهداف الشرعية الدولية المتمثلة في الميثاق والاعلان العالمي لحقوق الانسان والعهد الدولي بشأن تحريم العنصرية والتمييز العنصري على الصراع العربي ـ الصهيوني .

اما بخصوص تهافت بعض العرب على التسوية مع العدو الاسرائيلي باي شكل وباي ثمن فانه سهل للولايات المتحدة عملية الغاء القرار .

كيف يمكن تفسير امتناع **سبع دول عربية** عن التصويت ضد الغاء القرار ؟.

لماذا لم تقم هذه الدول السبع بمسؤولياتها التي التزمت فيها بالدفاع عن القرار انطلاقا من قرارات القمم العربية والاسلامية ؟.

ان مرونة بعض الجهات الفلسطينية والعربية والدولية لم تفد شيئا امام التعنت والاستيطان والتوسع الاسرائيلي ، ولم تحمل العدو الصهيوني على تقديم بادرة حسن نية لكي توفر مناخا ملائما لمسيرة مفاوضات السلام على طريق « **الارض مقابل السلام** » وليس السلام مقابل الارض ، حيث تضيع الارض والوطن والحقوق امام الاطماع الصهيونية والمباحثات المتعددة الاطراف .

ان التنظير الذي قامت به **جهات فلسطينية وعربية** حول التفريق بين صهيونية جيدة واخرى شريرة واسقاط حق الفلسطينيين في العودة الى وطنهم ، والاعلان عن **تمزيق الميثاق الوطني الفلسطيني، والدعوات لاقامة اتحاد اقتصادي فلسطيني ـ اردني ـ اسرائيلي** ، وابداء الرغبة لالغاء القرار ٣٣٧٩ ادى الى تشجيع الادارة الامريكية في السير في مخططها لفرض الغاء القرار ، واضعف الموقفين العربي والاسلامي في الدفاع عن القرار .

ان عنصرية اسرائيل التي تتجسد يوميا في معاملة العرب الفلسطينيين داخلها ، وفي الاراضي العربية المحتلة قبل صدور القرار ٣٣٧٩ والتي حملت الامم المتحدة على اتخاذه لم تتوقف وانما تصاعدت بعد بدء المفاوضات في مدريد ، وتزداد يوما بعد يوم ، وهي معاملة عنصرية ، وشكل من ابشع اشكال التمييز العنصري ، لا تخضع لاية اعتبارات انسانية او قانونية دولية . ولم تتغير اساليب وممارسات الظلم والاضطهاد والقتل والطرد والسجن والتعذيب ومصادرة الاراضي العربية ، واحضار المستوطنين وتسليحهم ، واقامة المزيد من المستوطنات ، بل تزداد ساعة بعد ساعة .

فماذا تغير حتى تضغط الادارة الامريكية على الامم المتحدة لالغاء القرار ٣٣٧٩ ؟

ان انقسام الموقف العربي في التصويت على الغـاء القرار ، **انتصار كبير لاسرائيل** ، ومؤشر على استمرار عدم وحدة الموقف العربي في مواجهة المباحثات المتعددة الاطراف التي تهدف اسرائيل من خلالها اقتسام المياه العربية واموال النفط العربية وتحقيق تغلغلها الاقتصادي في الاقطار العربية ، واقامة تعاون اقليمي على اساس شرق اوسطي وليس على اساس عربي .

ردود الفعل العربية على الغاء القرار :

ان موقف القطر العربي السوري من الصراع العربي الصهيوني، ومن مفاوضات السلام في مدريد وواشنطن والمحادثات المتعددة الاطراف حول التعاون الاقتصادي والغاء القرار يجسد الموقف العربي المبدئي في الدفاع عن مصالح الامة العربية .

وعلى اثر الغاء القرار صرح ناطق مسؤول في وزارة الخارجية مـا يلي : ـ

ان الغاء قرار الامم المتحدة الذي يعتبر الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية لم يلغ حقيقة وجود قوانين وتشريعات واجراءات تمييزية في اسرائيل ما زالت سارية المفعول حتى الان .

وقال الناطق : لقد صوت الوفد السوري ضد الغاء القرار لمعرفته الاكيدة بان الممارسات العنصرية ضد العرب في الاراضي العربية المحتلة قد تضاعفت وتصاعدت في السنوات الاخيرة عما كانت عليه الاحوال في عام ١٩٧٥ » .

واصدرت اللجنة العربية لمكافحة الصهيونية والعنصرية بيانا حول الحملة التي قادتها الولايات المتحدة لتبرئة الصهيونية من العنصرية والضغوط التي مارستها الادارة الاميركية على الدول النامية للموافقة على الغاء القرار جاء فيه :

« ان القرار ٣٣٧٩ كان خلاصة مئات القرارات الدولية التي وصفت جرائم الاستيطان العنصري الصهيوني ، وادانت احتلاله واستيطانه وانتهاكه حقوق الانسان ، ونقضه الاتفاقات الدولية ، فالغاؤه هو الغاء لتراث كبير من القرارات الدولية ، وبالتالي تبرئة للاستيطان العنصري الصهيوني من جرائمه ، واسقاط لكل قرار تنديد بهذه الاتهامات والجرائم في الامم المتحدة . وان الغاء القرار

هو تمييز عنصري ضد العرب ، لان العنصرية مدانة في كل مكان ، ولكنها اذا مورست باقبح اشكالها ضد العرب فيجري تبرئتها .

ودعت لجنة مكافحة الصهيونية في ختام بيانها الى اوسع حملة لتعرية عنصرية الصهيونية ، وسياسة الارهاب والتمييز العنصري التي يطبقها ويمارسها الكيان الصهيوني ، ولتعزيز الثقافة المقاومة للغزو الاقتصادي والثقافي الصهيوني القادم .

واصدر **اتحاد الكتاب العرب** بيانا اكد فيه ان الغاء قرار مساواة الصهيونية بالعنصرية لن يغير من حقيقة ان الصهيونية عنصرية ، بل من ابشع الحركات العنصرية واقدمها في التاريخ .

واضاف بيان الاتحاد ان الغاء القرار ٣٣٧٩ لن يغير من الطبيعة العنصرية لليهودي ـ الصهيوني التي لا تقرها القوانين وشرعة حقوق الانسان .

وان اسرائيل تمارس العنصرية ضد اولئك الذين قامت الصهيونية مجسدة باسرائيل العنصرية باقتلاعهم من وطنهم الاصيل وطن الاباء والاجداد منذ وجد الانسان على هذه الارض ، وطردتهم خارج ارضهم وديارهم .

ووصف بيان الاتحاد الغاء القرار بانه ضار جدا بمسيرة السلام ويعزز تعنت اسرائيل وعدوانها ونزوعها التوسعي الاستيطاني وممارساتها العنصرية ضد السكان العرب . واكد البيان ان تزييف الحقيقة وتزوير التاريخ وازالة الصفة العنصرية عن الصهيونية بقرار لن ينطلي على احد ، ولن يفل ذلك عزمنا على متابعة النضال من اجل حقوقنا التاريخية ومن اجل السلام العادل والشامل .

وبناء على دعوة من اللجنة العربية لمكافحة الصهيونية والعنصرية اصدرت سبعة اتحادات عربية قومية مذكرة ادانت فيها الغـاء القرار ٣٣٧٩ واقترحت خطة تحرك لمواجهة الصهيونية في المجالين العربي والدولي ، والاتحادات هي :

الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، **الاتحاد البرلماني العربي** **اتحاد الكتاب العرب** ، اتحاد المعلمين العرب ، **اتحاد الطلاب العرب**، **اتحاد الشباب العربي** واللجنة العربية لمكافحة الصهيونية والعنصرية.

واكدت مذكرة الاتحادات العربية ان الصراع ضد عنصرية الصهيونية ومشروعها الاستيطاني العنصري المهدد لمصيرنا القومي كله لم يبدأ بقرار دولي حتى ينتهي بقرار دولي ، ولن يغير الغاء القرار من الطبيعة العنصرية للصهيونية ، او من طبيعة الصراع التحرري ضد استيطانها العنصري ، وان الغائه استهدف **تزييف طبيعة الصراع والقضية لاضفاء مشروعية مزيفة على الاستيطان العنصري ــ الصهيوني** ، وهز مصداقية المنظمة الدولية وهيبتها **(عند العرب)** .

وتوجهت مذكرة الاتحادات ببرنامج عمل الى الجامعة العربية دعت فيه الى :

أ ــ التقدم بطلب رسمي معلل الى الامم المتحدة بتطبيق احكام الاتفاقية الدولية لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري على القوانين الاسرائيلية .

ب ــ تنفيذ قرار الجامعة السابق باعداد ملفات عن الممارسات الاسرائيلية العنصرية وجرائم الحرب وانتهاك حقوق الانسان والعهود الدولية الاخرى في الاراضي المحتلة لرفعها الى الامم المتحدة والمنظمات الدولية .

جـ ــ العمل على وقف الاستيطان فورا وتنفيذ القرارات الدولية لاسيما القرار ٤٦٥ الصادر عن مجلس الامن في اول آذار ١٩٨٠ والذي يدعو الى تفكيك المستوطنات .

د ــ وقف الهجرة الاستيطانية الصهيونية لكونها تنقض حقا انسانيا وطبيعيا غير قابل للتصرف نص عليه قرار الامم المتحدة رقم ١٩٤ (لعام ١٩٤٨) والذي تكرس في جميع القرارات الدولية التالية بما فيها قرار الجمعية العامة رقم ٢٧٣ بحيث جعل قبول عضوية اسرائيل في الامم المتحدة مشروطا بتنفيذ القرار ١٩٤ ، القاضي بعودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم ومنازلهم المحتلة منذ عام ١٩٤٨ .

هـ ــ رفض المساومة على الحقوق الوطنية غير القابلة للتصرف للشعب العربي الفلسطيني ، بما في ذلك حقه في العودة وتقرير المصير واقامة دولته الفلسطينية المستقلة .

و ــ اعتبار الجلاء الاسرائيلي عن الاراضي المحتلة في عام ١٩٦٧ امرا محتما غير مشروط .

ز ــ اعتبار الجلاء الاسرائيلي الفوري والشامل وغير المشروط عن الشريط الحدودي في جنوب لبنان المحتل حكما صادرا عن مجلس الامن بموجب القرارات ٤٢٥ ــ ٤٢٦ و ٥٠٨ ــ ٥٠٩ .

ى ــ رفض شروط التطبيع والتطويع والتركيع التي يحاول العدو فرضها بمساندة الولايات المتحدة الامريكية على العرب ، **لاضفاء الشرعية على الاستيلاء على مياههم** ، ولاخضاع اقتصادهم وثرواتهم للنهب والسيطرة تحت شعار **« الادارة والتكنولوجيا الاسرائيلية »** للثروات المائية والنفطية .

ودعت المنظمات الشعبية القومية الى اوسع حملة ضد النظام الاقليمي المشبوه المزمع اقامته على اساس **شرق اوسطي** وليس على اساس عربي ، واحياء التضامن العربي كبديل وحيد ومنزه عن الشوائب، ومقاومة الغزو الصهيوني الاقتصادي والثقافي والسياسي والوقوف ضد السلم التطبيعي التطويعي والتركيعي .

واكد الامين العام المساعد لجامعة الدول العربية السيد **عدنان عمران** ان موافقة الجمعية العامة على الغاء القرار الذي اصدرته عام ١٩٧٥ هو سابقة خطيرة في تاريخ المنظمة الدولية لانه يفتح الباب امام الغاء قرارات اخرى عديدة تمثل مكاسب لشعوب العالم باسرها ، ويناقض قناعات المجتمع الدولي الذي استند في اصدار هذا القرار الى الحقائق المتعلقة بالعقيدة الصهيونية وممارسات الاسرائيليين في المنطقة العربية وفي العالم ومنذ انعقاد اول مؤتمر صهيوني في **بازل** ، ويمثل مكافأة لممارسات اسرائيل القمعية وغير الانسانية والعدوانية ضد الانسان العربي »

وجاء في بيان الناطق الرسمي باسم جبهة الانقاذ الوطني الفلسطينية ان قرار الجمعية بالغاء قرارها رقم ٣٣٧٩ يشكل مخالفة قانونية واضحة بسبب استمرار أسباب وحيثيات اتخاذ القرار المذكور التي اكدتها عدة قرارات صدرت عن الجمعية العامة كما ان ملابسات صدور القرار الجديد يحمل مؤشرات تطور خطير في توجه الامم المتحدة واداء مهامها ووضعها تحت الوصاية الامريكية ويعتبر تشجيعا للكيان الصهيوني لاستمرار سياساته العنصرية

وتشبثه برفض قرارات الامم المتحدة ذات الصلة بالصراع العربي ـ الصهيوني .

وادان بيان جبهة الانقاذ الغاء القرار ، وحذر الامة العربية وكافة شعوب العالم من خطورة توجه عهد جديد للامم المتحدة ، واكد انه رغم الغاء القرار ستظل الصهيونية وكيانها المجسد باسرائيل الشكل الاكثر عنصرية للحركات والدول في المجتمع الدولي الراهن .

ان الغاء القرار ٣٣٧٩ يجسد **انحياز النظام العالمي الجديد ، الذي تنفرد الولايات المتحدة الاميركية بقيادته الى الصهيونية والكيان الصهيوني** ، ويظهر معاداة الدول الغربية للامة العربية ، ويجسد استجابته للابتزاز الصهيوني ، وخضوعه لاصهيونية ، ويضفي الشرعية الدولية على الاساطير والخرافات والاكاذيب والجرائم الصهيونية .

ويعني تدعيمه وتشجيعه للاستيطان والهجرة اليهودية وترحيل العرب الفلسطينيين من وطنهم وبالتالي عنصرية وتمييز عنصري تترافق مع التمييز العنصري تجاه العرب في بعض البلدان الاوربية .

ان تبرأة الصهيونية من طبيعتها وجرائمها وممارساتها العنصرية موقف عنصري وابشع انواع التمييز العنصري المعادي للعرب .

ان الغاء القرار سابقة خطيرة في تاريخ الامم المتحدة والتعامل الدولي ، ومكافأة للمعتدي الاسرائيلي على جرائمه واعتداءاته وممارساته باسم الشرعية الدولية والنظام العالمي الجديد .

ان العرب مطالبون بالالتفاف حول **موقف سورية القومي لمواجهة ازدواجية المعايير والمواقف للنظام العالمي الجديد ، ولمواجهة النظام الاقليمي المزمع اقامته لفرض هيمنة الصهيونية الاقتصادية على كامل ثروات الوطن العربي .**

القيادة القومية

● انعقد في دمشق في المدة الواقعة بين ١٨ ـ ١٩٩٢/١/١٩ الاجتماع الاول الموسع (الدورة /٥٠/) للامانة الدائمة لمنظمة الاشتراكيين التقدميين في حوض البحر الابيض المتوسط .

شارك في الاجتماع ممثلون عن احزاب الامانة الدائمة المؤلفة من:

(حزب البعث العربي الاشتراكي ـ مؤتمر الشعب العام الليبي ـ الحزب الاشتراكي العمالي الاسباني ـ الحزب الاشتراكي القبرصي (ايدك) ـ الحركة الاشتراكية لعموم اليونان (باسوك) ـ حزب العمال المالطي ـ الحزب الاشتراكي العربي الناصري (مصر) ـ الحزب الاشتراكي التقدمي في لبنان ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية (المغرب) ـ جبهة التحرير الوطنية الجزائرية) . وممثلون عن احزاب وتنظيمات وفعاليات سياسية وثقافية واعلامية ، وبعض الشخصيات من مختلف دول المتوسط المنتمية للمنظمة .

وقد افتتح الاجتماع الامين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي **الرفيق عبد الله الاحمر** بكلمة اكد فيها على الثوابت التالية :

١ ـ اهمية المنظمة التي تكتسبها من الدور المهم لاحزابها في بلدان المتوسط ، ومن القواسم المشتركة التي تجمع بينها ، وتجسدها الاهداف والمبادىء التي قامت على اساسها منظمة الاشتراكيين التقدميين ، وفي مقدمتها تحقيق الامن والسلام ، والعدل ، والمساواة ، والتكافؤ فيما بين شعوب دوله لتحويل المتوسط الى بحيرة سلام ومحبة كما قال **الرفيق المناضل حافظ الاسد** في خطابه بافتتاح دورة العاب المتوسط .

٢ ـ ان **حزب البعث العربي الاشتراكي العضو في الامانة الدائمة** لهذه المنظمة ، كان وما يزال يعمل بفعالية من اجل تفعيل دورها ، وتطوير اساليب عملها بما يخدم مصالح الشعوب التي تمثلها .

٣ ـ تأتي اهمية هذا الاجتماع في ظل الظروف الدقيقة والصعبة التي يمر فيها العالم بأجمعه ومنطقتنا بشكل خاص ، لا سيما بما يتعلق بعملية السلام فيها ، ذلك السلام العادل والشامل الذي يسعى اليه العرب ، ويوفرون كل امكاناتهم من أجل تحقيقه ، وتتطلع اليه شعوب المنطقة ، وشعوب العالم ..

٤ ـ اوضح النهج العدواني لاسرائيل ، واستمرار التوسع والاستيطان ، واستعرض مجمل التطورات التي جرت وتجري في العالم بأجمعه .

٥ ـ تعرض للنهج المبدئي القومي الذي تتحرك سورية من خلاله بقيادة الرئيس المناضل حافظ الاسد والذي جعل منها قاعدة اساسية للنضال العربي والتحرري وللدفاع عن الحقوق العربية ولبناء مجتمع متماسك يوفر الرخاء والازدهار للشعب العربي السوري ويعطي سورية قوة الفعل والتأثير في كل ما يجري من التطورات من حولها . وتوجيه هذا التأثير في خدمة النضال العربي والقضايا المصيرية لامتنا .

وقد صدر عن الاجتماع بيان عكس ما دار به من نقاشات وحوارات اهمها :

في الاطار التنظيمي ناقشت الامانة الدائمة ضرورة تطوير فعاليتها وتوثيق التعاون بين تنظيماتها ، وفي الاطار السياسي اكدت وقوفها الى جانب سورية مثمنة نهجها الوطني والقومي ودورها الريادي بقيادة الرفيق المناضل حافظ الاسد رئيس الجمهورية ، في مجمل القضايا ، وطالبت بضرورة تحقيق السلام العادل والشامل وتحرير الاراضي العربية المحتلة واحقاق الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني .

كما عالج الاجتماع قضايا متعددة تهم دول حوض المتوسط واحزابها وفعالياتها المختلفة .

كان الاجتماع فرصة لتأييد الحق العربي والوقوف لجانبه وشكل تظاهرة سياسية واعلامية لاحزاب وفعاليات جاؤوا من بلدان متعددة عربية وأجنبية في حوض المتوسط ، وان هذا الاجتماع هو احدى فعاليات حزبنا والتنسيق بينه وبين احزاب الدول المتوسطية .